مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

بَلاغَةُ بِنَاءِ الْقِصَّةِ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ: قِصَّةُ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى نَمُوذَجًا

د. وديدة عبدالظاهر السيد الشناوي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

جامعة الأزهر

DOI: 10.21608/qarts.2025.419815.2301

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٩) أكتوبر ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

بَلاغَةُ بِنَاءِ الْقِصَّةِ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ:

قِصَّة الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى نَمُوذَجًا

الملخَّص:

إنَّ الحديثَ النبويَّ الشريفَ يُمثِّلُ مصدرًا أساسيًّا من مصادر التشريع الإسلامي، ومجالًا غنيًّا للغةِ والبلاغةِ والفكرِ، وقد تميَّزتِ الأحاديثُ النبويَّةُ بجزالةِ الألفاظِ، وعمقِ المعاني، ودقة التصوير، مما يجعلها مادة خصبةً للدراسة البلاغيَّة.

وقد استخدم النبيُّ ﷺ القصةَ في أحاديثِهِ بأسلوبٍ فريدٍ يجمعُ بين سهولةِ التركيبِ وعُمقِ المعنى، والإيجازِ والإقناعِ، فكانت وسيلةً مؤثِّرةً في النفوس، تحملُ القيمَ والمواعظَ والعبرَ، وتُخاطبُ العقلَ والوجدانَ معًا.

ويأتي حديثُ الثلاثة الذين ابتلاهم اللهُ – تعالى– (الأبْرصِ والأقرعِ والأعمى)، الذي رواه الإمامانِ البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيْهِما، مثالًا بليغًا على ذلك؛ إذ يجمع بين أسلوبِ القصةِ، وروعةِ التصويرِ، وبلاغةِ السَّردِ، وسلاسةِ الحوارِ، مع عُمقِ الرسالةِ الأخلاقيَّةِ والتربويَّةِ التي يحملها هذا الحديثُ.

وقد استخدمَ النبيُّ ﷺ في هذه القصةِ قصَّةِ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى مجموعةً من الأدواتِ البلاغيةِ التي تُعزِّزُ الأثرَ، منها الحوارُ بينَ الملَكِ والشخصياتِ الثلاثةِ، هذا الحوارُ يكشفُ عن شخصيةِ كلِّ فردٍ، ويُبرزُ دوافعَه، ويُظهرُ حقيقةَ موقفِهِ من النعمةِ.

من هنا جاءت هذه الدراسةُ لتسلط الضوءَ على بلاغةِ البناءِ القصصيِّ في السنَّةِ النبويَّةِ المُطهَّرةِ، وإبرازِ الجوانبِ البلاغيَّةِ في هذا الحديثِ الشريفِ قصَّةِ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى، وتُظهر كيف وظَّف النبيُّ ﷺ أدواتِ اللغة ببلاغةٍ وفِطنةٍ لإيصال رسالته الإيمانيَّةِ والتربويَّةِ في قالبٍ قصصيٍّ مُؤثِّرٍ يُثْبِتُ أنَّ البيانَ النبويَّ ليسَ مجرّدَ وسيلةٍ للإخبارِ، بل هوَ أداةٌ لبناءِ القِيَمِ وتشكيلِ الوعيِ، من خلالِ توظيفِ القصةِ بأُسلوبٍ قصصيٍّ بارعٍ يُلامسُ الفطرةَ الإنسانيَّةَ، ويُحقِّقُ أعلى درجاتِ التأثيرِ والإقناعِ.

الكلمات المفتاحيَّة: بناء، القصة، البيان النبوي، قصة الأبرص، الأقرع، الأعمى.

مقدمة

الحمدُ لله الرحيمِ الرحمنِ، خلقَ الإنسانَ، علَّمهُ البيانَ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ بني الإنسانِ، سيدِنا محمدٍ سيدِ ولدِ عدنانِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأحبابِهِ الذين اتبعوهُ بإحسانٍ، وبعدُ:

فهذا بحثٌ في بلاغةِ البيانِ النبويِ في واحدةٍ من قَصصِه الهادفِ: قصةِ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى، التي استوعبت كثيرًا من ألوانِ البلاغةِ في تركيبِ أسلوبِها.

والقصةُ نوعٌ أدبيٌّ، استعمله البلغاءُ من الأدباءِ؛ لكي يدعِّمُوا أفكارَهم التي يريدون توصيلها للمتلقين، أيًّا كانت هذه الفكرةُ تربويَّةً أو اجتماعيَّةً أو أخلاقيَّةً أو غير ذلك.

وقد كانتِ القصةُ موجودةً بكثرةٍ كاثرةٍ في أقدسِ نصٍّ وأفصحِهِ، حيثُ أسلوبُ القرآن الكريم، ومن ذلك: قصةُ بقرة بني إسرائيل، وقصةُ ابني آدمَ عليه السلامُ، وقصةُ سيدِنا إبراهيمَ – عليه السلامُ – مع قومِهِ، وقصةُ سيدِنا يوسفَ عليه السلامُ مع إخوتِهِ، وقصةُ أصحابِ الكهفِ، وقصةُ سيدِنا سليمانَ عليه السلامُ مع الهدهدِ وملكةِ سبأ، وغيرُها من القصصِ الكثيرةِ والمتنوعةِ التي حملتِ العبرةَ والعظةَ، واتَّسمتْ بالحقيقةِ والصِّدقِ والواقعيةِ في الأشخاصِ والأحداثِ.

وقد جاءتِ السنةُ النبويةُ جريًا على نسقِ أسلوبِ القرآنِ الكريمِ– كيف لا وهي وحيٌ من الله تعالى لنبيِّهِ ومصطفاهُ ﷺ؟، قال – تعالى– في وصف سنتِّه المطهرَّةِ **ٱ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي** [النَّجم: ٣– ٤]، فاحتوتِ السنةُ على عديدٍ من القصصِ الحقيقيَّةِ الواقعيَّةِ في أحداثِها وأشخاصِها، وتوفَّرَ في هذه القصصِ جميعُ عناصرِ القصةِ التي فصَّلها الأدباءُ وبيَّنُوها، والتي سأفصِّلها في متطلباتِ هذا البحثِ.

وقصةُ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى واحدةٌ من القصصِ النبويَّةِ التي اشتملتْ على مكوناتِ القصةِ الأدبيَّةِ في روعةِ بيانٍ تضمَّنَ تراكيبَ بلاغيَّةً أضفتْ على اللفظِ والمعنى إمتاعًا وإقناعًا وإبداعًا، فأردتُ أن أغوصَ في بلاغيَّاتِ أسلوبِها وتراكيبِها.

عنوان البحث:

«بَلاغَةُ بِنَاءِ الْقِصَّةِ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ- قِصَّةِ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى نَمُوذَجًا»

سببُ الاختيار:

- ما تفرَّد به البيانُ النبويُّ، حيثُ يُعدُّ الحديثُ النبويُّ مادةً خصبةً للدراسة البلاغيَّةِ؛ فهو يجمع بين الجَزَالَةِ في اللفظِ، والعُمْقِ في المعنى، والدقةِ في التعبيرِ، واختيارُ قصةٍ بعينها، مثل قصة الأبرص والأقرع والأعمى، يُتيحُ للباحثِ أن يُغوصَ في تفاصيل هذا البيانِ، ويُحلِّلَ عناصرَهُ البلاغيَّةَ من منظورٍ تطبيقيٍّ.
- التعرُّفُ على بلاغةِ بناءِ أسلوبِ هذه القصةِ، وكيفَ كانتْ وسيلةً في توصيلِ الفكرةِ التي تدورُ حولَها تلك القصةُ الهادفةُ.
- بيان العلاقة بين البلاغة والأثر النفسيّ، وإبراز كيف كانَ لبلاغةِ المقابلةِ بين جحودِ النعمةِ والاعترافِ بها أثرٌ في غرسِ القيمِ الأخلاقيَّةِ في المتلقِّي.

منهجُ البحثِ:

وهذا البحثُ اعتمدتُّ فيهِ على المنهجِ الوصفيّ بأدواتِهِ من الاستقراءِ والتحليلِ والاستنباطِ، حيثُ المعايشةُ الدقيقةُ العميقةُ لأحداثِ القصةِ، واستنباطُ الألوانِ البلاغيةِ التي أضفتْ على أسلوبها ألقًا ورونقًا من خلالِ التحليلِ للتراكيبِ الأسلوبيَّة فيها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتضمن تمهيدًا ومبحثًا بعد المقدمة:

- تمهيدٌ في القِصَّة (تعريفها- عناصرها- طبيعة القصة القرآنيَّة والنبوية وأهدافهما).
- مبحث: قصة الأبرص والأقرع والأعمى دراسة بلاغية.

وفيه ثلاثةُ مطالبَ:

المطلبُ الأولُ: نصُّ الحديثِ، ومعناهُ إجمالًا.

المطلبُ الثاني: دراسةُ الحديثِ دراسةً بلاغيَّةً تحليليَّةً، وتضمَّن:

أولًا: عناصر بناء النصّ.

ثانيًا: التحليل البلاغيّ.

المطلبُ الثَّالثُ: خصائصُ بناءِ القصةِ في الحديثِ محلَّ الدراسةِ.

تساؤلاتُ البحثِ:

- ما الجوانب البلاغية في بناء القصة في الحديث النبوي الشريف، وتحديدًا قصة الأبرص والأقرعِ والأعمى؟
- كيف أسهم الحوارُ بين شخصيات القصة في فهمِ المعنى وإحقاقِ الحقِّ وأخذِ العبرةِ والعظةِ؟
- كيف أسهم كلٌّ من الفعلِ الماضي والعطفِ بما يُفيدُ التعقيبَ والتراخي في تسلسُلِ أحداثِ القصَّةِ وترابُطِها وترتُّبِ بعضِها على بعضٍ؟
- كيف وظفتِ القصةُ بلاغةَ المُقابلةِ في الكشفِ عن معادنِ النفوسِ؟

الدراسات السابقة:

تناولتِ العديدُ من الدِّراساتِ البلاغةَ في الحديثِ النبويِّ الشَّريفِ من جوانبَ مختلفةٍ، لكنَّها لم تتخصَّص في دراسة القصةِ في الحديثِ النبويِّ دراسةً بلاغيَّةً بشكلٍ دقيقٍ، ومنها على سبيل المثالِ لا الحصر:

- من البلاغةِ النبويَّة، د/ كامل سلامة الدِّقْس، دار الشروق- جدَّة، ط١، ١٩٧٨م.
- الحديثُ النَّبويُّ من الوجهةِ البلاغيَّةِ، د/ كمال عز الدين السيد، دار اقرأ- بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- دراساتٌ في البيانِ النبويِّ من خلالِ شرحِ الإمامِ الحسين الطِّيبيّ (ت٧٤٣هـ) على مشكاةِ المصابيح والمُسمَّى بكتاب الكاشفِ عن حقائق السُّنن، د/ محمد رفعت أحمد محمد زنجير، دار اقرأ بدمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- البلاغة في السنَّة النبويَّة دراسة تحليليَّة في الحديث النبويِّ الشَّريفِ، د/ عزَّة محمد جدُّوع، مكتبة المرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣م.
- شَرحُ أحاديثَ من صحيحِ البُخاريّ، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبةُ وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٣١هـ - ٢٠٢٠م
- شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأوّل، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.
- وغيرُها من الدراسات التي تناولتِ الحديثَ النبويَّ الشريفَ بالتحليل البلاغيّ.

وتناول بعضٌ آخرُ من الدراساتِ القصَّةَ في الحديثِ النبويِّ، لكنْ ليس من منظورٍ بلاغيٍّ، وإنَّما من منظورٍ آخرَ، ومن هذه الدراسات:

- قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبويّ، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- صحيح القصص النبويّ، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط٨، ٢٠١٠م.
- القصة في الحديث النبوي دراسة أسلوبيَّة، رسالة دكتوراة غير منشورة في اللغة العربية وآدابها، إعداد: كريمة حجازي، جامعة باتنة، الجمهوريّة الجزائريَّة، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، ٢٠١٨م.
- عناصر التشكيل السَّردي في حديث الأبرص والأقرع والأعمى، د/ محمود جلال عبد اللطيف ناصر، بحثٌ منشورٌ في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، العدد (٤)، ٢٠٢٤م.

وتناول بعضٌ ثالثٌ من الدراساتِ القصَّةَ في الحديثِ النَّبويِّ من الناحيةِ البلاغيَّة، ومن هذه الدراسات:

- القصَّة النَّبويَّة في الصحيحيْنِ دراسةٌ بلاغيَّةٌ تحليليَّةٌ، رسالة ماجستير غير منشورة في البلاغةِ والنقد، إعداد: محمد بن سعد بن زيد الدكان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة– كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، ١٤٣٠هـ.
- ولمْ تتناولْ هذه الدراسةُ حديثَ الأبرص والأقرع والأعمى بالدراسة البلاغيَّة والتحليل البلاغيّ كما تناولتُه في هذا البحث، بل أشارتْ تلك الدراسةُ إشارةً عابرةً إلى هذا الحديثِ في صفحاتٍ متفرّقةٍ.
- من أسرار النظم في القصص النبويّ، د/ عبده زايد، دار الصابوني، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- وقد تناول المؤلِّفُ في كتابِهِ هذا قصة الأبرص والأقرع والأعمى، وكان منهجه في التعاملِ مع نصوصِ القصص النبويّ –كما أشار رحمه اللهُ في مقدِّمة كتابه– هو منهج التحليل اللغوي الذي جسَّده الإمامُ عبدُ القاهر الجرجانيّ في نظريَّةِ النَّظمِ.

والله ولي التوفيق

تمهيدٌ في القِصَّة

(تعريفها- عناصرها- طبيعة القصة القرآنيَّة والنبوية وأهدافهما)

القصة تأصيلًا لغويًّا وتعريفًا:

القصَّة مصطلحٌ ونوعٌ من أنواع الكلام الأدبيّ الَّتي يعبّر فيها الأديب عن فكرةٍ من الأفكار، حيث إنَّ الأدباءَ صنَّفوا النَّتَاجَ الكلاميَّ إلى الشعر المنظوم المُقفَّى والنثر، والنثر يتضمَّنُ القصَّةَ والروايةَ والمقامةَ والخُطبةَ والمقالةَ والرِّسالةَ، وكلُّ نوعٍ من هذه الأنواعِ له سماتُهُ الَّتي ينفردُ بها عن سِواه.

ومصطلح القصَّةِ من الجذر (قَصَصَ)، وهذا الجذرُ يقول ابنُ فارسٍ في أصلِ معناه اللغوي: «الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ، وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ الْقَصُّ، وَهُوَ عِنْدَنَا قِيَاسُ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ مُتَسَاوِي الْعِظَامِ، كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ مِنْهَا يُتْبَعُ لِلْآخَرِ، وَمِنَ الْبَابِ: قَصَصْتُ الشَّعْرَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قَصَصْتَهُ فَقَدْ سَوَّيْتَ بَيْنَ كُلِّ شَعْرَةٍ وَأُخْتِهَا، فَصَارَتِ الْوَاحِدَةُ كَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْأُخْرَى مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي طَرِيقِهَا»[1].

ويقول الراغبُ الأصفهانيُّ: «ومنه قيل لما يبقى من الكلأِ فيُتتبَّع أثرُه: قَصِيصٌ، وقَصَصْتُ ظُفْرَهُ، والْقَصَصُ: الأخبار المُتتبَّعة»[2].

---

[1] **مقاييس اللغة، لابن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. مادة (ق ص ص).**

[2] **المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، صـ٦٧١.**

وبالتأمُّل يتضحُ أنَّ الجذرَ (قصص) الذي اشتُقَّ منه مصطلح القِصَّة بكلِّ اشتقاقاته يُلمحُ فيه معنى التَّتَبُّعِ والتحرِّي للوصولِ إلى هدفٍ من الأهدافِ، وهذا الأصلُ اللغويُّ جاء منه قوله – تعالى–: ﴿ بد بخ بم تج تح تخ تم ته ثم جح ﴾ [القصص: ١١]، فـ(قُصِّيهِ) يعنى تَتَبَّعِي أثرَه، وكذا قول الله تعالى: ﴿ بر بز بم بن ﴾ [الكهف: ٦٤].

ومعظم استعمالات القرآن الكريم لمشتقات الجذر (قصص) يدور حول معنى القصَّة الذي عناه الأدباء والبلغاء، ولا غرو فإنَّ هناك سورةً في القرآن الكريم سُمِّيتْ بسورةِ القصص؛ حيث إنَّها احتوت كثيرًا من القصص الحقيقيِّ الواقعيِّ الذي لا زيف فيه ولا تخييل، ففيها قصة سيدنا موسى وهو طفلٌ رضيعٌ، وقصتُهُ وهو شابٌّ، وقصته عند زواجِهِ، وقصتُه عندما أُوحِي إليه ومواجهته مع فرعون مصر، وقصةُ قارونَ الذي كان من قومه.

وقد ورد أيضًا استعمالاتٌ للجذر (قصص) على صيغة الأفعال وخاصة الفعل المضارع الذي يفيد معنى التجدد واستحضار الصورةِ، وهذا المعنى يتساوق مع أحداث القصة ومجرياتها، حيث إنَّ أحداثَها تتجدَّدُ وتتطوَّر حتى يتوصل لحلِّ العُقدة في ختام القصةِ.

ومن هذه الاستعمالات القرآنية التي وردت بصيغة الأفعال قوله سبحانه: ﴿ أم نر نز نم نن نى ﴾ [الأعراف: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ ٍّ ٌّ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ﴾ [هود: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج ﴾ [يوسف: ٣]، وغيرها من المواضع.

القصة الأدبيَّة تعريفًا:

من خلال التأصيل اللغويِّ لمصطلح القصَّة يتَّضح أنَّها تعني أن يتتبَّع الكاتبُ أو الروائيُّ حدثًا ما، فيسوقه في هيئة قصَّةٍ لها بدايةٌ ونهايةٌ يظهر فيها الحلّ أو ما وصل إليه هذا الحدث، ويعتمد الكاتبُ في ذلك على الزمان والمكان والأشخاص الذين ارتبط بهم هذا الحدث، بأسلوبٍ يجمع الصِّبْغة الأدبيَّة والفنيَّة، فالقصُّ «الطريقةُ التي تُروَى بها

أحداثٌ مُعيَّنةٌ، والقصَصُ حِكايةُ قصَّةٍ ذات أحداثٍ حقيقيَّةٍ أو مُتخيَّلةٍ، يربطُها منطقٌ أو تسلسلٌ زمنيٌّ معيَّنٌ عبرَ حبكةٍ تنتظمُ هذهِ الأحداثَ، وتتحكَّمُ فيها وترتيبها في سياقٍ سرديٍّ معيَّنٍ، ويقومُ بروايتِها راوٍ أو أكثر»[1].

ولا شك أنَّ القصةَ عملٌ أدبيٌّ يعتمد فيه الكاتبُ على الخيال كثيرًا، وعلى الحقيقة أحيانًا من خلال الواقع المعايش لأحداث الناس، «ومهمَّة القاصّ تنحصرُ في نقلِ القارئِ إلى حياةِ القصَّةِ، بحيثُ يتيحُ له الاندماجَ التَّامَّ في حوادِثِها، ويحملهُ على الاعترافِ بصدقِ التفاعُلِ الذي يحدثُ بينَ الشخصيَّاتِ والحوادثِ»[2].

عناصر القصة[3]:

من خلال ما سبق يتبين أنَّ القصةَ الأدبيَّةَ لها عناصر رئيسةٌ تتكون منها، هي:

الحدث:

وهو ما تدور عليه القصةُ بأكملها، ويرتبط بالأشخاص والزمان والمكان، وكلُّ شخصٍ يكون له ارتباطٌ بطرفٍ من هذا الحدث، ويكون فيه غموضٌ وعدم وضوحٍ إلا في نهاية القصة، وهو ما يطلق عليه العُقدة أحيانًا.

الزمن:

---

[1] معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إشراف: أ/ فاروق شوشة، ود/ محمود علي مكي، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ١/ ١١٣، ١١٧ بتصرُّف.

[2] فن القصة، د/ محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٥٥م، صـ٧.

[3] يُنظر: فن القصص، محمود تيمور، مجلة الشرق الجديد، عدد خاص، شوال ١٣٦٢هـ- أكتوبر ١٩٤٥م، صـ٤٨، ٤٩؛ القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعيَّة، د/ محمد بن حسن الزير، مكتبة المدني- جدة، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، صـ٢٣١؛ خصائص القصة الإسلاميَّة، د/ مأمون فريز جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع- جدة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، صـ١٥٣؛ دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها - اتجاهاتها - أعلامها، د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت، صـ٦.

وهو ذلك الزمان الذي يقع فيه الحدث، وهو ذو أهميةٍ كبيرةٍ في القصة؛ لأنَّ الزمانَ جزءٌ أصيلٌ من الحدث، ويُفهم كلُّ حدثٍ بزمانه حيث الأحداث التاريخية القديمة والحديثة، وقلَّما تخلو قصةٌ من زمانٍ تقع فيه، والزمن واضحٌ وظاهرٌ في الحديث الذي نحن بصدده، حيث إنَّ هذه الأحداثَ كانت في زمن بني إسرائيل الذين كانوا قبل زمن سيدنا محمدٍ ﷺ بزمانٍ كثيرٍ يزيد على ألفِ عامٍ.

الأشخاص:

عنصرٌ أساسٌ وأصيلٌ من مكونات أية قصةٍ، حيث إنَّ الأشخاصَ بمنزلة عمود الخيمة بالنسبة للقصَّة، فهم الذين يلامسون الأحداث، وترتبط بهم ولا تنفك عنهم، وفي القصص الأدبية كثيرًا ما تكون هذه الأشخاص خياليَّةً خلافًا لما عليه القصةُ في القرآن والحديث الشريف، فإنَّ الأشخاصَ فيها حقيقيَّةٌ وواقعيَّةٌ كما في شخص الأبرص والأقرع والأعمى الذين معنا في الحديث الشريف محلَّ الدراسةِ.

الحل أو النتيجة:

وعادةً ما يكون الحلُّ في نهاية الأحداث المرتبطة بالأشخاص، وهو ما ينتظره المتلقي للقصة وخاصَّةً إذا كانت قصةً من الخيال، ويكون من مخيلة الكاتب، أمَّا إذا كانت قصةً حقيقيَّةً واقعيَّةً فإنَّ الكاتب يحكي ما حدث بالفعل دون تزيُّدٍ أو انتقاصٍ.

******

طبيعة القصة القرآنية والقصة النبوية وأهدافهما

طبيعة القصة القرآنية والنبوية[1]:

تختلف القصةُ القرآنيَّةُ والنبويَّةُ عن غيرهما من القصص الأخرى التي يكتبها الأدباءُ والكُتَّابُ حيث يكون لهما خصائص وميزات، منها:

---

[1] **ينظر: خصائص القصة الإسلاميَّة، د/ مأمون فريز جرار، صـ ٢٢٦، ٢٢٨ بتصرف.**

أولا: الواقعيَّة:

القصص القرآني والنبوي ينفرد بخاصية الواقعية حيث تكون الأحداث فيه حقيقية قد حدثت بالفعل، ولا مجال للخيال فيها ولا لزيادة أو نقصان في الأحداث والمشاهد[1].

ثانيا: الأشخاص:

الأشخاص الذين يرد ذكرهم في القصص القرآني والنبوي أشخاص فعليُّون حقيقيُّون، كلٌّ يقوم بدوره في تكميل مشاهد القصة، ومن ذلك مثلًا ما ورد من أشخاصٍ في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقصة صاحب الجنتين، وقصة سيدنا موسى والخضر، وقصة سيدنا سليمان مع الهدهد وملكة سبأ التي وردت في سورة النمل، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، وغيرها من القصص التي وردت في القرآن الكريم.

وكذلك الأشخاص الذين ورد ذكرُهُم في القصص النبويّ هم كذلك فعليُّون حقيقيُّون، وكلٌّ قام بدوره الحقيقيّ دون زيادةٍ أو نقصانٍ، ومن ذلك مثلا الثلاثة الذين باتوا في غارٍ فوقعت صخرةٌ سدَّت عليهم بابَ الغار، فلم يستطيعوا الخروج منه، وكلٌّ واحدٍ منهم دعا الله – تعالى– وتوسل بصالح عمله، فانفرجت الصخرة فخرجوا سالمين بأمر الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون.

وكذلك قصة جريج الذي تسلطت عليه بغيٌّ من الباغيات، فبرَّأه الله تعالى على لسان طفلٍ صغيرٍ لا يزال في مهدِهِ، وقصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا وتاب إلى الله – تعالى– وأناب، وقبِل الله – تعالى– توبته، وغسل حوبته.

وغالبًا لا يُصرِّح القرآنُ الكريمُ والسنةُ النبوية المطهرة بأسماء الأشخاص؛ لأنَّ القصدَ من وراء تلك القصص أخذُ العبرة والعظة، فلا يفيد في ذلك ذكرُ أسماء الأشخاص،

---

[1] **ينظر: صحيح القصص النبوي، د/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط ٨، ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م، صـ١٤ بتصرف.**

لكن إذا كان في النصِّ على الاسمِ فائدةٌ فإنَّ القرآنَ الكريمَ والسنةَ النبويَّةَ يذكران أسماء الأشخاص مثلما ورد في قصة سيدنا موسى مع فرعون، والأشخاص في القصةِ محلَّ الدراسةِ تمثلتْ في شخصية الأبرص والأقرع والأعمى وشخصية الملك الذي اختبرهم وجاءهم في صورة بشر.

الأحداث:

والأحداثُ التي وردت في القصص القرآنيّ والنبويّ أحداثٌ حقيقيَّةٌ لا تزيُّد فيها ولا نقصان، كلُّ حدثٍ مرتبطٌ بصاحبه يُروى عنه ويُحكى، حتى تكمل تلك الأحداث مشاهدَ القصةِ كلَّها من بدايتِها لنهايتِها.

وتمثلت الأحداثُ في القصةِ موضوعَ البحثِ في إعطاء كلِّ واحدٍ من الأشخاص الثلاثة واديًا من الإبل والبقر والغنم وانشغالهم برعايتها وتنميتها، وإرسال الملك إليهم ليطلب منهم بعضَ ما آتاهم الله – تعالى–، فمنهم من تذكَّر نعمةَ الله عليه فهمَّ أن يُعطي، ومنهم من جحد نعمة الله عليه فهمَّ أن يُمسك، وكانت النتيجة أنَّ الله – تعالى– حفظ النعمةَ على مَنْ كانتْ نيتُهُ الإنفاقَ، وأزال النِّعمة عمَّن كانت نيتُهُ الإمساكَ.

الحوار:

الطابع الحواريُّ هو الغالبُ على القَصص القرآنيّ والنبويّ، فما من قصةٍ قرآنيَّةٍ أو نبويَّةٍ إلا وتجد الحوار ملموسًا محسوسًا فيها، ولا أدلَّ على ذلك من الحوار الذي كان بين سيدِنا موسى وفرعون والحوار الذي كان بين سيدِنا موسى عليه السلام وسحرة فرعون، والحوار الذي كان بين صاحب الجنتين وصاحبه الفقير الناصح له، والحوار الذي كان بين أصحاب الجنة الذين عزموا على حرمان الفقراء والمساكين.

وفي القصة النبويَّة الحوار الذي كان بين سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا جبريل الذي سأله عن معنى الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة، وكذا الحوار الذي كان بين الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته.

وتمثَّل الحوارُ في القصة محلّ البحث في الحوار الذي دار بين الملك الذي جاء إلى الأبرص والأقرع والأعمى في صورة إنسانٍ ليطلب منهم الصدقة، فمنهم من أعطى، ومنهم من منع.

و«هدف الحوارِ وفائدتُهُ وغايتُه إحقاقُ الحقِّ، وإظهارُ الصوابِ، والرجوعُ عن الخطأ، وتحقيقُ العدلِ والإنصافِ...، وردُّ الحقوق إلى أصحابها، ودفعُ المظالِمِ عن الناسِ، والسعيُ إلى العيش المشتركِ، والتعارف بين الأمم والشعوب، وطرح الصراع والنزاع والاقتتالِ بينهم، ونبذ التطرُّف والانحراف والعنف....»[1].

وطبيعة القصة القرآنيَّة والنبويَّة أنه لا يذكر فيها إلا ما يفيد الحدث والهدف الذي سيقت لأجله تلك القصة، بخلاف القصص الأخرى التي تجد فيها أحداثًا وأشخاصًا رئيسة وأخرى مساعدة لا يكون لها دورٌ مهمٌّ في القصة.

أهداف القصة القرآنية والنبوية

المتأمِّل في القصص القرآنيّ والنبويّ يجد أنَّ من وراء هذه القصص عدة أهدافٍ، منها:

أولا: معالجة قضايا العقيدة:

كثيرٌ من القصص القرآنيّ والنبويّ يعالج قضية العقيدة، المتمثلة في شهادة التوحيد والعمل بمقتضاها، «فالدعوةُ إلى دين الإسلام، وإلى الالتزام بمبادئِهِ وتعاليمه هي الغرضُ الأسمى والأكبر في القصَّة النبويَّة؛ لأنَّ الوظيفة التي بُعثَ الرسولُ ﷺ من أجلِها هي الدعوة إلى اللهِ وإلى اتِّباعِ دينِهِ وإلى سلوك الطريق المستقيم الذي هو دين الإسلام»[2]،

---

[1] ينظر: ثقافة الحوار بين الأصالة والمعاصرة دراسة وتطبيق، د/ وليّ الدين بن محمد صالح الفرفور، دار الفرفور، سورية- دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، صـ٢٨ بتصرف.

[2] القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية، صـ٤٣٦.

حيث كان كثيرٌ من الناس في بداية الدعوة يعبدون الأصنام، ويعتقدون فيها الضرَّ والنفعَ، فجاء القرآنُ الكريمُ ونهى عن ذلك نهيًا قاطعًا عن طريق القصص الحقيقيّ الواقعيّ، ومن ذلك في القرآن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لمَّا عمد إلى تكسير أصنامهم وقال لهم إنَّ كبير الأصنام هو الذي فعل ذلك، وقالوا له: **ٱ في قى قي كا كل كم كى كي لم** [الأنبياء: ٦٥]، إلى أن قال لهم: **ٱ لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح**، وجاءت القصةُ كاملةً في سورة الأنبياء، وأيضًا قصة أصحاب الكهف مع قومهم.

ومثلُ هذه القصَّة التي تعالج قضية العقيدة في القرآن الكريم كثيرٌ جدًّا، ومن ذلك قصة الهدهد مع ملكة سبأ مع قومها الذين كانوا يعبدون الشمس من الله تعالى ويسجدون لها، وقد عرضت سورة سبأ تلك القصة كاملةً.

وكذلك جاء القصصُ النبويُّ يعالج هذه القضية أيضًا، «وأهميَّةُ الحديثِ ترجعُ إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ يذكرُ أصولَ الدينِ الإسلاميّ وأحكامَهُ مجملةً دونَ تفصيلٍ، وأنَّه هو الذي يُفصِّلُها، فالحديثُ النبويُّ الشريفُ هو الذي بيَّن أحكامَ الشريعةِ، وصوَّرها عمليًّا، كما صوَّر المبادئ الأخلاقيَّةَ والاجتماعيَّةَ والإنسانيَّةَ التي جاء بها الرسولُ ﷺ، وبذلكَ كانَ مُكمِّلًا للقرآنِ، وخاصَّةً حينَ تُجمَلُ أحكامُهُ، أو ينبهمَ المرادُ من معنى بعضِ آياتِهِ»[1].

ومن ذلك: تلك القصص التي كان سيدنا محمد ﷺ يحكيها عن الأمم السابقة وحالهم مع أنبيائهم من ذلك قصة ماشطة ابنة فرعون وقصة أصحاب الأخدود، وكان القرآن الكريم يذكر طرفا منها، ثم تأتي مفصلة في سنة نبيّنا ﷺ.

---

[1] تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف، دار المعارف– القاهرة، ط١١، ١٩٨٩م، صـ٣٥.

وحتى تلك القصة – موضوع البحث – فيها طرف من أطراف العقيدة، حيث تبين أن الرازق هو الله وحده وهو سبحانه القادر على العطاء وعلى الأخذ وعلى الإغناء والإفقار، قال تعالى:ﱡ **ﱠ ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي مامم نر نزنم نن نى ني ىٰ يرﱠ** [آل عمران: ٢٦].

ثانيا: معالجة قضايا التربية والأخلاق

كذلك تهدف القصة القرآنية والنبوية إلى معالجة مسائل التربية والأخلاق المتعددة والمتنوعة، حيث تكون درجة الإقناع كبيرةً حينما تساق منزلة الخلق في قصة من القصص.

وكثيرٌ من القصص في القرآن الكريم وسنة نبينا محمد ﷺ تجلَّى فيه ذلك، مثل قصة أصحاب الجنَّة التي وضَّحتْ منزلة الجود والكرم، وقيمة إخراج الزكاة، ودرجة التصدق والإنفاق في سبيل الله – تعالى–، وقد سردت وقائع هذه القصة وأحداثها سورة القلم بدءًا من قول الله تعالى:ﱡ **ﱠ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى ميﱠ** [القلم: ١٧]، كذلك قصة صاحب الجنَّتيْن التي سردت أحداثَها سورةُ الكهف والتي توضِّحُ قيمةَ التواضع لله – تعالى–، والإقرار بفضله –جل وعلا–، وأنَّ كلَّ النعم والعطايا منه وحده –سبحانه–، ومن قبيل ذلك تلك القصة موضوع البحث، فهي تُعلِّم الإنسانَ أنَّ الله تعالى هو صاحب الإنعام والإعطاء، وهو سبحانه القادرُ على الأخذ والعطاء.

ثالثا: قضايا البعث ومشاهد اليوم الآخر:

كثيرٌ من قصص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تعالج قضية البعث بعد الموت، ومشاهد يوم القيامة من العرض على الله تعالى، والشفاعة بين يديه جل وعلا، «فمن أهداف الحوار النبويّ الدعوة إلى الإيمان بالبعث واليوم الآخر»[1]، حيث حديث

---

[1] **الحوار شريعةً وواقعًا وتاريخًا، د/ منير محمد الغضبان، دار السلام– القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ–**

الشفاعة المشهور المعروف، والحساب، ودخول الجنة للطائعين، ودخول النار لمن انتكب الصراط المستقيم، واتبع شيطانه وهواه ونفسه الأمارة بالسوء.

ومن ذلك كثيرٌ في القرآن الكريم، حيث قصة سيدنا إبراهيم مع النمرود، وقصة الرجل الذي مرَّ على قريةٍ خاويةٍ على عروشها، فاستبعد أن تتحوَّل إلى واحةٍ خضراءَ يدبُّ فيها الروح وتنبعث فيها الحياة، فوضَّح الله – تبارك وتعالى– له بالمثالِ المُشاهَد المُعاين كيفيةَ الإحياء والإماتة، حيث جعل الروح تستمرُّ في الطعام والشراب الذي كان يستعمله مدةً طويلةً من الزمن، وأحيا عظام الحمار ونفخ فيها الروح بعد أن رمَّتْ وبليتْ، فلما شاهد ذلك قال: **ٱ مج مح مخ مم نج نح نخ** [البقرة: ٢٥٩].

وسيدنا إبراهيم طلب من ربه –جل وعلا– أن يُبيِّنَ له كيف يُحيي الموتى، فطمْأنَ اللهُ – تعالى– قلبه بطريق القصَّة بأنَّه – سبحانه وتعالى– قادرٌ على ذلك، حيث نفخ الروح في أربعة أنواعٍ من الطير تقطَّعتْ أوصالُها وتفرَّقتْ أجزاؤها وجاءت تسعى إلى سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وبعدها قال له الله –عزَّ وجلَّ–: **ٱ ئن ئى ئي بر بز** [البقرة: ٢٦٠].

وجاء الفيضُ النبويُّ والبيانُ المحمديُّ جريًا على أسلوب القرآن الكريم، فجاءت أحاديثُ كثيرةٌ في هذا النطاق وفي ذلك المضمار، ومن ذلك حديث الشفاعة والذي يُبين من خلال القصة هولَ الموقف بين يدي الله – تعالى– وعظمته، فيلجأ الخلائق إلى الرسل واحدًا بعد الآخر فيتنصلون منهم، حتى يأتوا إلى سيدنا محمد ﷺ فيطلب من ربه أن يُشفِّعَه في العُصاة والمذنبين، فيقول له ربُّهُ: «... ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسمع، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ...»[1]، وأحاديثُ كثيرةٌ عالجتْ تلك القضايا يطولُ البحثُ بذكرها.

٢٠١١م، صـ٢٩.

[1] **أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ٱ آمى مي نج نح نخ نم نى**

هذه أهم الأهداف والأغراض التي وضحت وظهرت من خلال القصص القرآني والنبوي، ولا يمنع أن تكون هناك أهدافٌ أخرى غيرها.

هذا «والنفوسُ تسكنُ للقصصِ، والقلوبُ تهشُّ للحكايات، فإذا كانتْ هادفةً ترسَّبتْ منها بالتأثير أهدافُها»[1].

[القيامة: ٢٢- ٢٣]، حديث رقم (٧٠٠٢)، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب الإيمان، بَاب (أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا)، حديث رقم (١٩٣).

[1] الحديث النبويّ الشريف من الوجهة البلاغيَّة، د/ كمال عز الدين السيد، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، صـ٧٠.

مبحث

قصة الأبرص والأقرع والأعمى دراسة بلاغية

وفيه ثلاثةُ مطالبَ:

المطلبُ الأولُ: نصُّ الحديثِ، ومعناهُ إجمالًا.

المطلبُ الثاني: دراسةُ الحديثِ دراسةً بلاغيَّةً تحليليَّةً.

المطلبُ الثَّالثُ: خصائصُ بناءِ القصةِ في الحديثِ محلَّ الدراسةِ.

المطلبُ الأولُ

نصُّ الحديثِ، ومعناهُ إجمالًا

أولًا: نصُّ الحديثِ:

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**[1]:

«إِنَّ ثَلَاثَةً في بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فأتَى الأبْرَصَ، فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنْه، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الإبِلُ –أَوْ قالَ: البَقَرُ، هو شَكَّ في ذلكَ: إنَّ الأبْرَصَ وَالأقْرَعَ قالَ أَحَدُهُما: الإبِلُ، وَقالَ الآخَرُ: البَقَرُ–، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقالَ: يُبَارَكُ لكَ فِيهَا. وَأَتَى الأقْرَعَ فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هذا؛ قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قالَ: فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: البَقَرُ، قالَ: فأعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقالَ: يُبَارَكُ لكَ فِيهَا. وَأَتَى الأعْمَى فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ به النَّاسَ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قالَ: فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الغَنَمُ، فأعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هذانِ وَوَلَّدَ هذا، فَكانَ لِهذا وَادٍ مِن إِبِلٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن بَقَرٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن غَنَمٍ، ثُمَّ إنَّه أَتَى الأبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فلا بَلَاغَ اليومَ إِلَّا باللَّهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عليه في سَفَرِي، فَقالَ له: إنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقالَ له: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فقِيرًا فأعْطَاكَ اللَّهُ؟

---

[1] أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيْهما عنْ أبي هريرةَ –رضي الله عنه–؛ رواه البخاريُّ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل)، برقم (٣٤٦٤)، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٤).

فَقالَ: لقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عن كَابِرٍ، فَقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كُنْتَ. وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ له مِثْلَ ما قالَ لِهذا، فَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ عليه هذا، فَقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى في صُورَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فلا بَلَاغَ اليومَ إلَّا باللَّهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بهَا في سَفَرِي، فَقالَ: قدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفقِيرًا فقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَ اللَّهِ لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ علَى صَاحِبَيْكَ». "صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم"

ثانيًا: المعنى الإجماليُّ للحديثِ:

هذا الحديثُ من الأحاديث النبوية الشريفة التي تظهر فيها دعائمُ القصَّة الأدبية، حيث الزمان والأشخاص والأحداث والعقدة والحل أو النتيجة والحوار الذي كان الأداة الموصلة لحلِّ العُقدة.

فالزمانُ يتمثَّل في أنَّ هذه القصة كانت عند أمةٍ من الأمم في زمانٍ قبل زمان أمة سيدنا محمد ﷺ وهي أمة بني إسرائيل.

والأشخاصُ هؤلاء الرجالُ الذين تعرَّضُوا لابتلاء الله –جلَّ وعزَّ– (الأبرص والأقرع والأعمى)، والملك الذي أرسله الله – تعالى– إليهم في صورة رجل سائل؛ ليختبرهم.

والأحداثُ تمثلتْ في تزويدِ هؤلاء الثلاثة بصنوفٍ مختلفةٍ من المال، والبركة التي حصلت فيه، ومن المعافاة من المرض الذي أصاب هؤلاء الثلاثة.

والعُقدة تمثَّلت في المصير الذي كان ينتظر كلًّا من الأبرص والأقرع والأعمى، وأنَّه لم يظهر إلا في نهاية القصة.

والحلُّ الذي تمثل في أنَّ الله – تعالى– سلبَ النعمةَ من الأبرصِ والأقرعِ لمَّا تنكَّرا وجحدا نعمةَ الله – تعالى– عليهما، وحفظَ النعمةَ على الأعمى الذي أقرَّ بنعمة الله – تعالى– عليه.

والوسيلةُ الحواريَّةُ كانت ظاهرةً بوضوحٍ في القصَّةِ من أوَّلِها إلى آخرِها مما يزيدُ المعنى بروزًا وظهورًا ووضوحًا.

وهذه القصةُ من أنواعِ القَصَصِ التاريخيِّ، الذي يُخبر فيه الرسول ﷺ عن أفرادٍ من الأمم السالفة الذين وقع لهم ابتلاءٌ في أغلى وأعلى ما يُحبُّ الإنسان ويهواه وهو المال والعافية.

وهي قصةٌ إرشاديَّةٌ تربويَّةٌ تعليميَّةٌ، تربّي الفردَ المسلمَ على الاعتراف بفضل الله تعالى عليه، وأنَّ المالَ الذي بين أيدينا والصحةَ التي ننعمُ بها كلُّ ذلك من فضل الله علينا، قال ربُّنا: **ﭐ بم بن بى بي تر تز** [النور: ٣٣]، وقال: **ﭐ كي لم لى لي مّ**[الحديد: ٧]، وهذه القصة حقيقيَّة، حيث إنها من وحيِ الله تعالى لرسوله ﷺ، حيث يقول: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...»[1]، يقصد القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة، لا سيما وأنَّها قد وردت في أصحِّ كتابٍ بعد القرآن الكريم، وهو كتاب صحيح الإمام البخاري، رضي الله عنه وأرضاه.

وقد احتوى هذا الحديثُ على ثلاثةِ مشاهدَ رئيسةٍ على النحو الآتي:

المشهد الأول:

[1] **رواهُ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل في مسندِهِ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، وقال: "إسناده صحيح"، حديث رقم: (١٧١٧٤).**

رجلٌ فقيرٌ أبرصُ اجتمع عليه الأمرَّانِ الفقر والبرص، و«البَرَصُ: داءٌ مَعْرُوفٌ، نسأَل اللَّهَ العافيةَ مِنْهُ وَمِنْ كُلِّ داءٍ، وَهُوَ بَيَاضٌ يَقَعُ فِي الْجَسَدِ»[1]، وهو داءٌ يصيب الجلدَ، فتظهر فيه بقعٌ بيضاءُ، تستقذر النفس منه وتشمئز، أراد الله تعالى أن يختبر هذا الرجل، فأرسل إليه ملكًا في صورة رجلٍ، وبدأ يتحاور معه، فقال له: ما الذي تحبه وتهواه؟ فرتَّبَ مطالبَه بادئًا بالشيء الأهمِّ وهو أن يذهب عنه هذا المرض الذي لا يستطيع أن يواجه به الناس حيث إنهم يستقذرونه، والقذر: وسخ يصيب الإنسان يجعل الناس تنفر عنه وينفرون منه، وأيضًا لأنه أمرٌ يتَّصِلُ بصحة الإنسان وهي أغلى ما يملكه، فيجيبه الملك إلى طلبه، فيذهب عنه هذا البرص، ويعطيه لونًا حسنًا.

ثم يسأله الملكُ أيُّ أنواعِ المال أحبُّ إليكَ؟ قال: الإبل أو البقر، فيعطيه الله تعالى ناقةً أو بقرةً عشراء، على أُهْبَةِ الاستعدادِ للنِّتاج؛ وهذا لمزيدِ الابتلاء، فتنتج ويزيد المال زيادةً مفرطةً، ثم يذهب الملك، ويدور الزمان دورته، ويأتيه الملك مرةً أخرى في صورة سائلٍ مسكينٍ وبه برصٌ مثلُ الذي كان به، فيطلب منه شيئًا مما آتاه الله – تعالى–، ويقول له: أعطني ناقةً أو بقرةً ليكون ذلك عونًا لي في وصولي إلى مرادي حيث انقطعت بي الحبال، فيمتنع عن العطاء، فلمَّا امتنع عن مساعدته ومعاونته، ذكَّره السائلُ بحاله الذي كان عليه من البرص والفقر، ولكنَّه واصل جحودَهُ وعنادَهُ، وقال: إنما ورثت هذا المال عن آبائي وأجدادي كما يقول: (كَابِرًا لِكَابِرٍ)، ويلاحظ منتهى كبره وعناده وصلفه حينما يقول: ورثت هذا المال كابرًا عن كابرٍ، ويشتق من لفظ الكبر، ثم دعا عليه الملكُ الذي كان في صورة سائلٍ أن يُصيّرَهُ اللهُ – تعالى– إلى ما كان عليه، إن كان كاذبًا، فاستجاب الله دعوةَ الملكِ فسلب منه النعمةَ وسخط عليه.

---

[1] **لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاريّ، دار المعارف، القاهرة، ط ١٥، د.ت، مادة (ب ر ص).**

المشهد الثاني:

الأقرع الذي أراد الله – تعالى– أن يختبره في المال والصحة، اللذين هما أعظم نعمتين يحبهما الإنسان، فيرسل الله – تعالى– إليه ملكًا، فيسأله ماذا تتمنى؟ فيقول: شعرًا حسنًا لكي لا يستقذرني الناس، وينفروا مني، وهو كذلك يبدأ بالشيء الأهم والأولى، فيطلب شيئًا يتصل بأمر صحة الجسد؛ لأنَّه لا يستطيع مواجهة الناس، بسبب أنه مجردٌ عن الشعر الذي هو زينة الرأس، فيجيبه الملك إلى طلبه، ويعطيه شعرًا حسنًا، ويسأله الملكُ عن أي أنواع المال يحب ويشتهي؟ فيقول له البقر، فيعطيه بقرةً عشراءَ جاهزةً للنتاج حتى أصبح له وادٍ من البقر حيث بورك له فيها، وبهذا يكون قد أصاب صحة الجسد وكثرة المال والبركة فيه، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث يأتي وقت الابتلاء والاختبار، فيرسل الله تعالى إليه ملكًا في هيئة سائلٍ وعلى الصورة التي كان عليها، فيطلب منه هذا السائلُ بقرةً يتبلغ بها في سفره، فيأبى أن يتصدَّق عليه، فيقول له كأني أعرفك ألم تكن أقرعَ فعافاكَ اللهُ تعالى؟ وألم تكن فقيرًا فأغناكَ؟ فتنكَّر لنعمةِ الله تعالى عليه، وقال ما قاله الأبرصُ من أنه ورث مالَه عن آبائِه وأجدادِه، ويتناهى في الكِبر والفخر، فيقول: (لقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عن كَابِرٍ)، فقال له: إن كنتَ كاذبًا صيَّرَكَ الله تعالى إلى ما كنتَ عليه، واستجاب الله تعالى دعوةَ الملكِ فسخط عليه.

المشهد الثالث:

الرجل الأعمى الفقير، حيث اجتمع عليه الأمرَّان مرُّ العمى ومرُّ الفقر، أراد الله تعالى أن يبتليه فيرسل إليه الملك فيقول له ما الذي تحبه وتهواه؟ فيقول له أن يرد الله تعالى إليَّ بصري، فاستجاب الله تعالى لدعوة الملك فردَّ إليه البصر، ثم سأله أيُّ المالِ أحبُّ إليك ؟ قال له الغنم، فأعطي شاةً ولودًا وبورك له فيها حتى أصبح له وادٍ من الغنم، ويأتيه الملكُ في صورة سائلٍ، فيطلب منه شاةً يتبلَّغُ بها لكي يتمكَّن من مواصلة السير والسفر، فيتذكَّر نعمةَ الله تعالى عليه ويقول له: لقد كنتُ أعمى فردَّ اللهُ إليَّ بصرِي، وكنتُ

فقيرًا فأغناني الله تعالى، ثمَّ قال للسائل: خُذْ ما شئتَ، واتركْ ما شئتَ، فلن أشقَّ عليك وأتعبَك، فالمالُ مالُ اللهِ تعالى، ثم تأتي المفاجأةُ وحلُّ العقدة، فيقول له: أمسكْ عليك مالَكَ، وإنما أراد الله تعالى أن يختبرَكُم أنتم الثلاثة، فسخط على صاحبَيْك الأبرص والأقرع، ورضي عنك؛ لأنَّك كنتَ أهلًا لنعمة الله عليك فلم تنكرها، وعلمتَ أنَّ هذا المالَ مالُ الله تعالى، فكان عندَكَ الاستعدادُ لتسخيرِهِ في خدمةِ المُعوذين والضعفاء من عباد الله جل وعلا.

هذا هو المعنى الإجماليُّ للحديثِ الشريفِ الذي عرض لنا قصَّةَ هؤلاء الثلاثة المُبْتلينَ، وقد «وضعتهم القصَّةُ أمامَ مواقفَ جديدةٍ لمْ تكنْ في حسبانِهم، حينَ جاءَ الملكُ إلى كلِّ واحدٍ منهم في صورتِهِ السابقةِ وما كان عليهِ من فقرٍ وضيقٍ يطلبُ منهُ معروفًا ومعونةً، فإذا بالأبرصِ والأقرعِ يتَّخذانِ موقفًا متشابهًا، بينما يسلكُ الأعمى سلوكًا مغايرًا مع هذا السائل المحتاج»[1]، بأحداثِها التي تسلسلت وانتظمت بصورةٍ بليغةٍ، ففي البداية بلاءٌ، ثمَّ طلبٌ لذهاب الداء والمعافاة من البلاء، ثمَّ العطاءُ، ثمَّ الاختبارُ عبر قدوم الملكِ السائلِ، ثمَّ ردُّ فعلِ الشخصيات الثلاث، برضا الله أو سخطه.

المطلبُ الثاني

[1] القصص في الحديث النبويّ دراسة فنيَّة وموضوعيَّة، صـ١٩٤.

دراسةُ الحديثِ دراسةً بلاغيَّةً تحليليَّةً

أولًا: عناصر بناءِ النصّ:

طريقةُ بناءِ هذا الحديثِ تقوم على جملتَيْنِ أساسيتيْنِ، هما جملةُ البدءِ، وجملةُ الختامِ، فجملةُ البدءِ هي المقدّمةُ والتمهيدُ والتوطئةُ للقصة، وهي جملةٌ اسميَّةٌ مؤكَّدةٌ بـ (إنَّ) التي تفيدُ حتميَّةَ ثبوتِ الخبرِ للمبتدأ، واسمُها نكرةٌ خُصِّصَ بالتقييد بالجار والمجرورِ، والبدلِ؛ لتربيةِ الفائدةِ، وتوجيه المعنى، وخبرُها جملةٌ فعليَّةٌ ماضٍ فعلُها لتحقُّق سبقِهِ في علم اللهِ –جلَّ وعلا– وانقضائِهِ، وقد تقيَّد هذا الفعلُ«بَدَا» بجارٍّ ومجرورٍ «بَدَا لِلَّهِ» قُدِّمَ على الفاعل وهو المصدر المؤوَّل بـ (أنْ) والفعل المضارع؛ للتركيز على فعل (الابتلاء) الذي هو محورُ الحديث وأساسُهُ، وهذه الجملة المُهيّئة هي قوله ﷺ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ».

ثم تتابعتْ أحداثُ القصَّةِ وتسلسلتْ بتسلسل الأفعال التي تبيّنُ كيفيَّةَ الابتلاءِ، عن طريق مجيء الملكِ لهؤلاء الثلاثة المُبتلينَ، وإقامة حوارٍ معهم فيما يربو على عشرينَ جملةً أغلبُها فعليَّةٌ، ماضيةٌ أفعالُها مُتعاقبةٌ، تُوحي بتسلسُلِ الأحداثِ وسُرعتِها، وتُضفي عليها الطابع السَّرديّ، الذي يُدخِلُ المتلقِّي في أحداثِ زمنٍ مضى، بما يُناسبُ الإخبارَ بالقصَّةِ، والاتِّعاظَ منها، وكلُّ هذه الأفعالِ قد تقيَّدَ بقيدٍ يزيدُ في بناء المعنى وتربية الفائدة، وتعدَّدت هذه القيودُ بين قيدٍ بالحالِ، وقيدٍ بالصفةِ، والشرطِ، والزمانِ؛ وذلك لتحديدِ المعنى، وتوجيه الدلالةِ، والتبريرِ، وإبراز نعمِ الله –عزَّ وجلَّ–، والاستعطافِ، وغير ذلكَ كما سيتضحُ من التحليل، فتسلسلت جملُ هذه القصة، وتجاورتْ وتتابعت حتى نهاية الحديثِ ونتيجتِه، وهي جملة الختامِ: «فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ علَى صَاحِبَيْكَ» التي بُنيتْ على الحصر بـ(إنَّما)؛ لتأكيدِ القضية التي دار حولها الحديث، وهي الابتلاء، وما أعقب هذا الابتلاءَ من تحديدِ المصيرِ وغايةِ الابتلاءِ، بالرضا والقبول عن أحدِ الثلاثةِ

المُبتَلين، وبالسخطِ على صاحِبَيْهِ، وذلك بفاء التعقيب، وبناء الفعل للمجهولِ للتركيزِ على الغاية من الابتلاء.

ثانيًا: التحليل البلاغيّ:

هذا الحديثُ الشريفُ يُبيّنُ دقَّةَ البيانِ النبويّ وثراءَ التعبيرِ في بناء القصصِ القصيرِ الهادفِ، وبلاغةُ هذا الحديثِ تكمنُ في بلاغةِ كلٍّ من المقدِّمة، وسردِ القصَّة، وبلاغةِ الخاتمة.

أولًا: المقدِّمة:

افتتح النبيُّ ﷺ حديثَهُ بـ (إنَّ) التوكيديَّة التي تُضفي على الخبرِ صفةَ اليقينِ، وتهيّئُ المُتلقِّي لاستقبالِ الإخبارِ وتلقِّي الأحداثِ بتأهُّبٍ واستعدادٍ، «والبيانُ النَّبويُّ الكريمُ يُكثرُ من استعمالِ خصائصَ يُقرّرُ بها النبيُّ ﷺ الدينَ في نفوسِ المؤمنينَ، ومن هذه الخصائص التأكيدُ وهو الاهتمامُ بالشيء، وانفعالُ النفس به يستوجبُ ضربًا من تأكيده»[(١)]، وتأكيدُ المطلع بـ (إنَّ) يجعلُ الجملةَ بعدها أقوى تأثيرًا، ويشوّقُ المتلقِّي للاستماعِ والإقبالِ، «والتأكيد هنا لكونِ الخبرِ مهمًّا عند المتكلم»[(٢)]، ولتقريرِ الخبرِ بعدهُ، ثمَّ جاء اسمُ(إنَّ) عددًا، فأصبح جزءًا من بناء التشويقِ، حيثُ أثار المتلقِّي، وجعلهُ مترقِّبًا لمعرفة هؤلاءِ الثلاثةِ، وهذا من التهيئة الذهنيَّة والتشويق في بيان المصطفىﷺ، حيث قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً في بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» ونلحظُ التصعيدَ[(٣)] والترقّي في المعنى، حيث ذكر النبيُّ ﷺ العددَ «إِنَّ ثَلَاثَةً» أولًا، فشوَّقَ

---

(١) **الحديث النبويّ الشريف من الوجهة البلاغيَّة، د/ كمال عز الدين السيد، دار اقرأ- بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، صـ٧٩.**

(٢) **السابق ذاته.**

(٣) **تصعيدُ المعاني: هو طردُ الكلامِ حثيثًا في مقدّماتٍ يُسلّمُ بعضُها إلى بعضٍ، كأقيسةِ المنطقِ توصّلُ**

المتلقِّي إلى معرفة مَنْ هؤلاء الثلاثة، ثمَّ زادَ في البيانِ عنهم بالظرف المكانيّ، فقال: «في بَنِي إِسْرَائِيلَ»، ثم صعَّد في الإفادة، فأبان عن وصفهم بقولِهِ: «أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى»، ثم زاد من الترقُّب العقليّ والوجدانيّ لدى المتلقِّي، حيث يتساءلُ في نفسِهِ: ما شأنُهم؟، فأبان عنهم بالجملة الفعليَّة الواقعةِ خبرًا لـ(إنَّ)، بقوله: «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»، ولفظُ «يَبْتَلِيَهُمْ» نفسُهُ فيه من التشويقِ وإيقاظِ الانتباهِ إلى معرفةِ قصَّةِ الابتلاءِ هذهِ.

وعبَّر ﷺ بقوله: «في بَنِي إِسْرَائِيلَ»، ولم يقل: (مِن بني إسرائيل)؛ للدلالةِ على معنى إحاطةِ الزمان والمكانِ بهم، فهؤلاءِ الأشخاصُ من قلبِ مكانِ بني إسرائيلَ، وهذا ما تؤكِّده ظرفيَّةُ (في) الذي يدلُّ التعبيرُ بها على استرجاعِ صورةِ القَصصِ الماضيةِ في الصورةِ الحاضرةِ على المشاهدةِ، حيثُ أعادتْ (في) الصورةَ الماضية إلى الصورة الحاضرة، وجعلتِ الإنسانَ يعيشُ الحدثَ بخيالِهِ وعقلِهِ كأنَّهُ فيهِ.

وقوله ﷺ: «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» أي «سبق في علمِ الله فأرادَ إظهارَه، وليس المرادُ أنَّه ظهر له بعد أنْ كانَ خافيًا؛ لأنَّ ذلك محالٌ في حقِّ الله تعالى»[1]، فالفعلُ (بَدَا) يُستعملُ لِظهورِ شيءٍ خفيٍّ، وهذا لا يجوزُ في حقِّ اللهِ تعالى، إذ هو العليمُ الخبيرُ، لا يخفى عليه شيءٌ، وإنَّا المرادُ بُدوٌّ يليقُ بكمالِ اللهِ وجلالِهِ.

وهذه الجملةُ الافتتاحيَّةُ «إِنَّ ثَلَاثَةً في بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» من روائعِ بيانِهِ ﷺ، حيثُ تتابعتْ فيها الكلماتُ وتسلسلتْ مُتدرّجةً في تصعيدِ المعنى وبيانِهِ، فأحدثتْ توازنًا ومقارنةً بينَ ثلاثةِ أصنافٍ من البشرِ المُبتلين،

في سرعةٍ وسلامةٍ إلى النتيجةِ، بحيثُ لا يشعُرُ المُخاطبُ من سُرعةِ التتابُعِ والانقيادِ للمُسلَّماتِ بجهدٍ دونَ غايتِهِ. الحديث النبوي من الوجهة البلاغيَّة، صـ٢٥٣.

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العلَّامة بدر الدين محمد بن أحمد العينيّ (ت ٨٥٥هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ١٦/ ٦٧.

وأثارتِ انتباهَ المتلقِّي بأنَّهُ سيتتبَّعُ ثلاثَ وقائعَ متكافِئةٍ، ويزيدُ شعورُ التشويقِ لديهِ بالمقارنةِ بين هؤلاءِ الثلاثة، وانتظارِ مصيرِهِمْ، ويتساءلُ في نفسِهِ: ما الذي يربطُ بين هؤلاء الثلاثة؟، وماذا صنعُوا؟، وهل سيتَّحدونَ في مصيرِهِم، أو سيفوزُ واحدٌ في الاختبار ويخسرُ اثنانِ؟، إلى غيرِ ذلكَ من التوقُّعاتِ.

وبهذه الجملةِ الافتتاحيَّةِ يُعلِّمُنا النبيُّ ﷺ كيف تكونُ براعةُ استهلالِ القصص، حيثُ يستعينُ المتكلِّمُ أسوةً بكلامِ النبيِّ ﷺ من خلالِ الأساليبِ البلاغيَّةِ الجليلةِ التي وردت في بدايةِ هذه القصَّةِ، من التأكيدِ ثمَّ التنكيرِ، ومن بعدِهِ الترقِّي في بيانِ المعنى، بذكرِ العددِ ثمَّ الأشخاصِ، ثمَّ بيانِ أوصافِهِم، ثمَّ الإفصاحِ عن محورِ القصَّةِ وهو الابتلاءُ، وعندما اجتمع كلُّ ذلكَ ففي كلِّ نقطةٍ منه جذبٌ لانتباهِ السامع، وشدَّةُ تنبيهٍ لعقلِهِ، وتشوُّقٌ لتلقِّي القصَّةِ، فيُقبِلُ عليها، ويعيها، وتتقبَّلُها نفسُهُ أحسنَ قبولٍ من فهمٍ وحفظٍ وتدبُّرٍ، فتثبت في نفسِهِ أيَّما ثبوتٍ وتتقرَّر.

وقوله ﷺ: «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» دلَّ على عنوانِ الحديثِ وموضوعِ القصَّةِ، وهو الابتلاءُ، فعرف المتلقِّي أنَّ الرَّابطَ بينَ هؤلاءِ الثلاثةِ هو الابتلاء، ولمَّا ذكر النبيُّ أوصافَهم«أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى» بانَ لدى المتلقِّي أنَّ هذه الأوصافَ تبعثُ على النفورِ والشفقةِ، وتثيرُ لديه رغبةً في معرفةِ قصَّتِهِم، والجمعُ بينَ هذه الثلاثة من مراعاةِ النظيرِ التي تُحدِثُ نوعًا من الاتِّساقِ والانسجامِ في التركيبِ، فقد اشتركَ الثلاثةُ في الابتلاءِ بنقصٍ في الخِلْقةِ يسبّبُ نفورًا، وصُعوبةً في الحياة.

وجملةُ «عَزَّ وَجَلَّ» تنزيهيَّةٌ، اعترض بها النبيُّ ﷺ؛ تعظيمًا لحكمةِ الله –عزَّ وجلَّ– وقدرتِهِ في الخيرِ والشرّ، واستحضارًا لجلالِ اللهِ – سبحانه وتعالى– وقدرتِهِ في تصريفِ أمورِ الخلقِ من المستحيلِ إلى المُمكنِ، ومن الطاعةِ إلى المعصيةِ، وحكمتِهِ – سبحانه وتعالى– في تغييرِ أمورِ الخلقِ وإحاطةِ علمِهِ بما في نفوسِهِم من خيرٍ أو شرّ.

واكتفى النبيُّ ﷺ بذكرِ أوصافِهِمْ، ولم يذكرْ أسماءَهم؛ لتركيزِ الانتباهِ على قضيَّةِ الابتلاءِ نفسِها، لا على أصحابِ الابتلاءِ، فالنبيُّ ﷺ يُعلِّمنا استخلاصَ العبرِ من خلالِ نماذجَ بشريَّةٍ حدثتْ منهم أفعالٌ مفعمةٌ بالمعاني وداعيةٌ إلى التأمُّل، دونَ ذكرِ أسمائِهم، «فالمقصودُ من القصصِ هنا الحالة التي تمثِّلها القصّةُ، لا الشخصيَّةُ في ذاتها، فالحدثُ هو محطُّ الاهتمامِ»[1]، فلم يذكر المسند إليه مثلا أو لم يذكر اسمَ كلِّ مبتلٍ؛ «لأنَّ تعيينه لا يتعلَّق به غرضُ الكلامِ»[2].

وذُكِرتْ هذه الأوصافُ الثلاثةُ بالذاتِ؛ لأنَّ هؤلاءِ الأشخاصَ الثلاثةَ نماذجُ لأصنافٍ من الناس ابتُلوا بنقائصَ وعُيوبٍ في الخِلقةِ تقتضي النُّفُورَ والعُزلةَ.

والصفة المُشبَّهة على وزنِ (أفعل) «أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى» لا يُرادُ منها التفضيل، وإنما المرادُ ثبوتُ الصفةِ في صاحبِها، إذِ الصفةُ المُشبَّهةُ تدلُّ على تمكُّنِ الصفةِ من الموصوفِ، مع استحضارِ صورتِها وثبوتِها في نفسِ المتلقِّي.

وهذه الصفاتُ صفاتٌ مُوجزةٌ مُركَّزةٌ أغنتْ عن ذكرِ شرحٍ طويلٍ، فعبَّر النبيُّ ﷺ باللفظِ «أَبْرَصَ»، ولم يقل: رجلٌ به داءُ البرصِ في جلدِهِ، يُسبِّبُ له اشمئزازًا، ويتجنبه الناس، وكذلك قال: «أَقْرَعَ» ولم يقل: رجلٌ سقط شعرُ رأسِهِ، فاستقذرهُ الناسُ، وأيضًا قال: «أَعْمَى» ولم يقل: رجلٌ ذهب بصرُهُ، وشقَّتْ عليه الحياة، وإنَّما أتى بصفاتٍ مُشبَّهةٍ أحاطتْ معانيها بالمعاناةِ الجسديَّةِ، وتركيزِ الابتلاءِ في هؤلاءِ الأشخاص.

---

[1] القصص في الحديث النبوي دراسة فنيَّة وموضوعيَّة، ٣٥٨.

[2] شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأوّل، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م، ٢/ ٨٤٥.

وقد بدأ النبيُّ ﷺ بالأبرصِ ثمَّ بالأقرعِ؛ «اهتمامًا بالتسجيلِ عليهما، وتعجيلًا للانتقام منهما، وقدَّم الأبرصَ؛ لأنَّ داءَهُ أشنعُ ولونَهُ أعظمُ»[١]، والبدءُ بالأبرصِ يجذب الانتباهَ؛ لأنَّه أكثر نفورًا، ثمَّ (الأقرع) وهو أقلُّ نفورًا، لكنَّه يُمهِّدُ لاختبارٍ جديدٍ، ثمَّ الختامُ بالأعمى، وهو شخصٌ لا يُنفِّر الناسَ، بل يُثيرُ الشفقةَ، وقد كان أحسنَهم ردًّا.

وعبَّر بالمصدر المؤوَّل في قوله: «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»، ولم يقل: «بدا للهِ ابتلاؤُهم»؛ لأنَّ المقامَ هنا مقامُ قصٍّ وسردٍ لأحداثِ قصَّةٍ حدثتْ في الزمن الماضي، وذلك يستدعي توضيحًا وتصويرًا للأحداثِ لحظةَ حدوثِها، وهذا ما يُصوِّرُهُ المصدرُ المؤوَّلُ الذي يكونُ معهُ إيضاحٌ وبيانٌ، فـ «للمصدر الصريحِ مقامٌ يقتضيه، لا يصلُحُ المصدرُ المؤوَّلُ أن يُعاقبَهُ فيهِ، وللمصدر المؤوَّلِ مقامٌ يقتضيه، لا يصلح للمصدر الصريح أنْ يحلَّ مكانَه فيهِ»[٢]، وقوله ﷺ: «أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» مسندٌ إليه مؤخَّرٌ، وتأخيرُهُ فيه دقَّةٌ بلاغيَّةٌ تُحقِّقُ التشويقَ في تلقِّي الخبرِ، والتأخيرُ وسيلةٌ لترقُّب السامع وتعلُّق ذهنِهِ بمشاهدِ القصَّةِ وتسلسُلِ أحداثِها.

والتعبيرُ بالفعل «يَبْتَلِيَهُمْ» أبلغُ في أداءِ المعنى، فالابتلاءُ مقصودٌ لذاتِهِ في دلالةِ الاختبارِ الإلهيّ، وليس مُجرَّدَ عطاءٍ عابرٍ، «والِابْتِلَاءُ لَا يكون إِلَّا بتحمُّل المكارهِ والمشاقِّ، والاختبارُ يكون بذلك وبفعل المحبوب، أَلا ترى أَنَّه يُقَال اختبره بالإنعام عَلَيْهِ، وَلَا يُقَال ابتلاه بذلك، وَلَا هُوَ مبتلًى بِالنعْمَةِ»[٣].

---

[١] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الأشعري (ت ١٠٥٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، د.ت، ١/ ٢٩٤.

[٢] السُّنَّة بيانًا للقرآن، د/ إبراهيم الخولي، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، صـ١١٤.

[٣] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، صـ٢١٦.

والابتلاءُ أشدُّ، إذ هو من البليَّةِ التي تُذهِبُ طاقةَ الإنسانِ من الصبرِ على الأذى، فابتلى اللهُ نفوسَ هؤلاءِ الثلاثةِ بالإيذاءِ والفقرِ.

ثانيًا: سردُ القصَّةِ:

وبعد أنْ هيَّأ النبيُّ ﷺ ذهنَ المتلقِّي بجملةٍ تمهيديَّةٍ مؤكَّدةٍ بـ(إنَّ) التي جعلتْ ما بعدها حقيقةً واقعيَّةً ودرسًا حقيقيًّا حدث في أمةِ بني إسرائيل؛ شوَّقهُ إلى معرفةِ أحداثِ القصَّةِ، فبدأ في سردِ أحداثِها، فقال:

«فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا»، الفاءُ للتعقيبِ والإسراعِ في نقلِ المتلقِّي من مشهدٍ إلى مشهدٍ في القصة دونَ تراخٍ، وتنكير «مَلَكًا» دونَ ذكرٍ لاسمِه، مع إيجازٍ بالحذف أي ملكًا في صورةِ رجلٍ أو إنسانٍ، والتنكيرُ للنوعيَّةِ لا للتحديدِ، أي هو من جنس الملائكةِ، وفي التنكيرِ تعظيمٌ وتفخيمٌ لفِعلِ هذا الملَكِ الذي سيقومُ بدورٍ عظيمٍ في محاورة أصحابِ القصَّةِ لا لذاتِهِ، وفي تنكيرِهِ كذلك تشويقٌ للمتلقِّي ولفتٌ لانتباهِهِ لمواصلةِ الاستماعِ، وصرفٌ لذهْنِهِ لمعرفةِ أفعالِ هذا الملَكِ مع الثلاثةِ المُبْتلينَ.

وعبَّر النبيُّ بفاءِ الترتيب والتعقيب والأفعال الماضية المتوالية المتتابعة (فَبَعَثَ، فأتَى، فَقالَ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ، فَأُعْطِيَ، فأعْطَاهُ، فَرَدَّ، فَأُنْتِجَ...)، ممَّا يُشعِرُ بالتسلسُلِ السريعِ لأحداثِ القصَّةِ، وتعاقُبِها في انتظامٍ، كلُّ حدثٍ فيها يترتَّبُ على ما قبلهُ، فيشعر المتلقِّي بانسجامٍ وتواصلٍ.

وتكرارُ الفاءِ لهُ أثرٌ بليغٌ في هذا النصِّ القصصيِّ، حيثُ تُشعِرُ هذه الفاءُ بتتابُعِ الأحداثِ دونَ تراخٍ، وتُبرزُ كذلكَ الدلالةَ على قُدرةِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– وسُرعةِ تصريفِهِ للأمورِ، وصدق اللهُ –جلَّ جلالُهُ–: ﴿**ٱظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قحَّ**﴾ [يس: ٨٢].

وتكرارُ الفعلِ الماضي وإنْ دلَّ على الزمنِ وحدوثِهِ وتقريرِ وقوعِ الحدثِ في زمنِ بني إسرائيل؛ ففيهِ تمكينٌ لِصِدقِ بيانِهِ ﷺ عن ربِّهِ –عزَّ وجلَّ– عن هؤلاءِ الأشخاصِ الثلاثةِ، وفيهِ إرواءٌ لما سبقَ من تشويقٍ لنفوسِ المُتلقِّينَ، وفي تكرارِ الزمنِ بصيغةِ

الماضي ما يبعثُ في النفسِ تصديقًا وإيمانًا بكلامِهِ ﷺ، من خلالِ توتر الأفعالِ وتتابعها وتعقيبِ بعضِها بعضًا، وهذا في كلِّ أفعالِ القصَّةِ، وإنَّما هو في مطلعِها أثبتُ وأقوى وأمكنُ؛ إذ هو أوَّلُ ما ينزلُ عقلَ المخاطَبِ ويقعُ في صدرِهِ، وطالما ثبتَ الأوَّلُ وتمكَّنَ بُنيَ عليهِ ما تلاهُ من لفظٍ أو معنًى.

وقد جمعَ الثلاثة المُبتلينَ في قولِهِ: (فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا)، ثمَّ أخذ في تفصيلِ ما دار مع كلِّ واحدٍ، وعبَّر بالفعلِ (بَعَثَ) بدلًا من (أرسلَ) مثلًا؛ لأنَّه أدقُّ في تصوير المهمَّةِ الإلهيَّةِ التي يقومُ بها الملَكُ، و«البعثُ لَا يكون حملًا، وَيُسْتَعْمل فِيمَا يُعقل، لا مَا لَا يُعقل، فَتَقولُ: بعثْتُ فلَانًا بكتابي، وَلَا يجوز أَن تَقولَ: بعثتُ كتابي إِلَيْكَ»[1]، وهذا الفعلُ (بَعَثَ) مُرتبطٌ بأداءِ مهمَّةٍ عظيمةٍ هي تنفيذ الابتلاءِ والاختبار، ففيهِ من التحفيزِ وقوَّةِ المباشرةِ والتوجيهِ.

وحذف المسند إليهِ من الفعلِ (بَعَثَ)؛ لدلالةِ السياقِ عليهِ، فمعلومٌ لدى المتلقِّي أنَّ فاعلَ البعثِ هنا هو اللهُ –عزَّ وجلَّ–، والمقامُ هنا مقامُ فِعلٍ، لا مقام بيانٍ للفاعلِ.

وحذف الفاعل هنا من الإيجازِ بالحذفِ للدلالةِ عليه في الجملةِ السابقة (بَدَا لِلَّهِ)، ولأنَّ بعثَ الملَكِ مُترتِّبٌ على ما بدا للهِ –عزَّ وجلَّ– من ابتلاءِ هؤلاءِ الثلاثة.

وقوله: (مَلَكًا) أي في صورةِ رجُلٍ، والتنكيرُ هنا لإفادةِ أنَّ المُهمَّ هو ذكرُ دورِ الملكِ المبعوثِ، لا ذاته.

وتتجلَّى بلاغةُ حُسْنِ التقسيمِ في قوله ﷺ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»، فقد ذكرَ ثلاثةَ أصنافٍ من المُبتلينَ، ثمَّ بدأ في الحديثِ عنْ قصةِ ابتلائِهم واحدًا تلوَ الآخرِ، فكلُّهم مُشتركٌ في الابتلاءِ(برص، قرع، عمى)، وكُلُّهم طلبَ تغييرًا في الجسدِ، وكُلُّهم طلبَ نوعًا من المالِ (إبلًا، بقرًا، غنمًا)،

---

[1] الفروق اللغوية، صـ٢٨٩.

وكُلُّهمْ نالَ عطيَّةً (نَاقَةً عُشَرَاءَ، بَقَرَةً حَامِلًا، شَاةً وَالِدًا)، وكلّهم اختُبِرَ لاحقًا، وحُسنُ التقسيمِ يخدمُ وحدةَ المعنى وتدرّج النعمة، وفيهِ تيسيرُ التلقّي، فالتقسيم المنتظم يُسهّلُ حفظَ القصةِ واستيعابَها.

(فأَتَى الأَبْرَصَ) أي فأتى هذا الملكُ الأبرصَ، حذف المسند إليه؛ لكونِهِ معلومًا، وفي الحذفِ إبرازٌ لأفعالِ السردِ القصصيّ وتركيزٌ عليها.

وفي أحداثِ هذه القصَّةِ تتجلَّى بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ، وبالتحديدِ حذفُ الفاعلِ إذا كانَ فاعلًا واحدًا لأفعالٍ مُتعدّدةٍ، وتركيزُ السامعِ يكونُ على الحدثِ، أو يكونُ متوجّهًا نحوَ أحداثِ القصَّةِ بصورةٍ أكبرَ؛ لأنَّ الفعلَ (الحدثَ) من أكبرِ عواملِ الجذبِ والتشويقِ في القصَّةِ، دونَ النظرِ إلى الفاعلِ إلا في مواقفَ معيَّنةٍ يتبدَّلُ فيها الفاعلُ، أو تتغيَّرُ بهِ أحداثُ القصَّةِ.

و(أل) في قوله: (الأَبْرَصَ) للعهدِ الذكريّ، وهي تُحدِثُ ترابطًا وثيقًا بين بداية القصةِ وسياقِها اللَّاحِقِ، و «أل» هنا تدفع السَّامعَ أو القارئَ إلى الرجوعِ الذهنيّ إلى ما سبق، فتنعقد في ذهنه صورةُ الشخصيَّة السابقة، ويدرك كيف تتغيَّرُ أحوالُها.

وقوله ﷺ: (فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟) جاء بطريقةِ الحوارِ الذي يكشفُ عنْ طبيعةِ كلِّ شخصيَّةٍ من خلالِ حوارِها مع الملكِ، وقوله: «أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» أي بخصوصِ الابتلاءِ الذي أنتَ فيهِ.

وتنكيرُ (شَيءٍ) فيهِ سَعةٌ على الأبرصِ في ذِكْرِ ما يتمنَّاهُ ويرجوهُ، ولفظُ (شَيءٍ) يدلُّ على العمومِ، سواءٌ كان يخصُّ أمرَ الدنيا أو الآخرةِ.

«قالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ»، وحرصًا من النبي ﷺ على وقتِ السامعِ، وحثِّ ذهنِهِ على التفاعُلِ وتقديرِ المَشاهِدِ، وتخيُّل الأحداثِ؛ فقد عمد إلى الإيجازِ بالحذْفِ؛ طلبًا للإيجازِ، وتحقيقًا لقوَّةٍ في التركيبِ، وشدَّةِ تماسكه النصّيّ.

وتقديرُ المحذوف: «لَونٌ حسنٌ وجِلدٌ حسنٌ أحبُّ إليَّ»، وفي تقييدِ اللونِ بكونِهِ حسنًا ما يدلُّ على أنَّه ليس مجرَّد أيِّ لونٍ، وإنما لونٌ جميلٌ يحبُّه هو ويحبُّه الناس.

وابتلاءُ كلِّ شخصٍ في القصةِ يتصل بعلاقة الناس به، بدليل قوله: «قدْ قَذِرَنِي النَّاس»، وهذا القولُ عبَّر فيه بالأثرِ النفسيّ الواقعِ عليهِ من الأذى النفسيّ، وكأنَّهُ تعليلٌ لطلبِهِ أنْ طلبَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا.

وبهذا التركِيبِ «فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عنْه، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا» بيَّنَ الرسولُ ﷺ كيفَ أُعْطِيَ هذا الأبرصُ سؤْلَهُ بقولِهِ: «فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنْه»، ولم يقل: (فبرأ، أو فشُفِيَ)، وكأنَّ هذا المرضَ مأمورٌ من اللهِ – سبحانه وتعالى– أنْ يأتيَ ويذهبَ، أي إنَّهُ أُمرَ بالذَّهابِ فذهبَ، ويدلُّ ذلك على عظمةِ اللهِ – تعالى– وقدرتِهِ، وأنَّ المرضَ جُندٌ من جنودِه –عزَّ وجلَّ–.

وفاءُ التعقيبِ في «فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عنْه» تدلُّ على سرعةِ استِجابةِ المخلوقاتِ عاقلةً وغيرَ عاقلةٍ لأمرِ اللهِ تعالى.

وهذا التفصيلُ من النبيِّ ﷺ «فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنْه، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا» فيهِ مراعاةٌ لقدرةِ العقلِ البشريّ على استيعابِ الأسبابِ ونتائِجِها، وفيهِ تفصيلٌ للحدثِ كلِّهِ للتأكيدِ على حصولِ المطلوبِ كما تمنَّاهُ الأبرصُ، لم ينقصِ اللهُ من عطائِهِ شيئًا، بل زاده على حُسنِ اللونِ والجلدِ المالَ، فدفع عنه أذى النفسِ في الجلدِ واستقذارِ النفسِ، فأعطاهُ مالًا بعدما سألهُ الملكُ أيُّ المالِ أحبُّ إليكَ.

وفي صيغةِ السؤالِ من اللهِ – تعالى– على لسانِ الملكِ: «أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» تكريمٌ للأبرصِ، فلم يُعطِهِ جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا فحسب، بل خيَّرهُ في العمومِ المُطلقِ، فذكرَ الرجلُ أصعبَ شيءٍ على نفسِهِ وهو المرضُ، فأكرمهُ اللهُ تعالى بسؤالٍ آخرَ «أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، وهذا من صورِ تكريمِ الله –عزَّ وجلَّ– لابنِ آدمَ **ًا قى قي كا كلَّ**

[الإسراء: ٧٠]، يُعطيهِ الحَسنَى وزيادةً، أي ما يطلبُ الإنسانُ من عطاءٍ في الدنيا والآخرةِ، فيُعطيه اللهُ أفضلَ منهُ وأعظمَ.

«قالَ: الإبِلُ ..... فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ» تقييدُ بالوصفِ عُشراءَ، «وكانتْ أنفسَ أموالِ العربِ؛ لقرْبِ ولادتِها، ورجاءِ لبنِها»[1]؛ بيانًا لكرمِ العطاءِ، فأُعطيَ الأبرصُ المُبتَلَى ما سأل من اللونِ والجلدِ الحسَنَيْنِ، وعندما سألَ مالًا أُعطيَ أفضلَ ما سألَ، وهنا تكونُ الفتنةُ ويكونُ الاختبارُ.

وفي دعاءِ الملَكِ له بالبركةِ «يُبَارَكُ لكَ فِيهَا» تحقيقٌ لوقوعِها؛ إذ هو مبعوثٌ من اللهِ تعالى بهذا العطاءِ المباركِ.

وحُذِفَ المُسندُ إليهِ وهو الله –جلَّ جلالُهُ–؛ للعلمِ بهِ، وللتركيزِ على فعلِ المُباركةِ والإعطاءِ، ففي هذا العطاءِ ابتلاءٌ، والابتلاءُ في العطاءِ نفسِهِ وهو مصبُّ القصَّةِ.

وفاءُ التعقيبِ في قولِهِ: «فَأَتَى الأَبْرَصَ » تدلُّ على سرعةِ استِجابةِ الملَكِ لأمْرِ اللهِ – تعالى–ٱ **حج حم خج** [النحل: ٥٠]، وفي العطف بالواو«وَأَتَى الأَقْرَعَ » عطفٌ لمعنى الاستِجابةِ والسُّرعةِ، فكما أتى الملكُ الأبرصَ أتى الأقرعَ أيضًا، وقالَ مقولتَهُ نفسَها «أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، «أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، وفي تكرارِ هذه الجملةِ بيانٌ للعدلِ في إكرامِ هؤلاءِ الثلاثةِ المُبتلينَ، حيثُ جعل في سؤالِهِ الأقرعَ «أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» سعةً لما يُحبُّ.

«قالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هذا؛ قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ» أي يذهبُ عنِّي ما أنا فيهِ من قرعٍ، «والفَرْقُ بَيْنَ القَرَعِ والصَّلَعِ أنَّ القَرَعَ ذَهَابُ البَشَرَةِ، والصَّلَعُ ذَهابُ الشَعْرِ

---

[1] **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم، أبي الفضل (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ٨/ ٥١٥.**

مِنها»[١]، وزاد الأقرعُ في طلبِهِ جملةَ «وَيَذْهَبُ عَنِّي هذا»، فاختلافُ الطلبِ باختلافِ المخاطَبِ.

ويُلْحظ التقييد بمفردة (حَسَنًا)، ممَّا يفيد أنه ليس مجرد شعر فقط، ولكنه شعرٌ يتمنَّاهُ كلُّ إنسانٍ لنعومته وطراوته مثلًا.

وقدِ اختلفتْ صورةُ الابتلاءِ في القصَّةِ بينَ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى، ولكنْ تساوتْ صورةُ الكرمِ والعطاءِ؛ لأنَّ البرصَ غيرُ القرعِ غيرُ العمى.

وفي الموضعيْنِ «قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ» تعليلٌ لطلبِ حُسنِ الجلدِ وتمامِ الخِلقةِ المعهودةِ بينَ الناسِ، ولأنَّ البرصَ مرضٌ والقرعَ مرضٌ، ولكليْهِما الأثرُ النفسيُّ السيِّءُ على صاحِبَيْهِما أمامَ النَّاسِ، والإنسانُ يتأثَّرُ لما يعتريهِ من خيرٍ أو شرٍّ، وإنَّما كانت صورةُ البرصِ والقرعِ من صورِ المرضِ الذَّميمةِ، وإنْ كانَ المرضُ جميعُهُ لهُ أثرٌ، إلا أنَّ البرصَ والقرعَ صورتُهما تبعثُ على النفور والاستقذارِ، فكما يتأذَّى الإنسانُ نفسِهِ يتأذَّى منهُ النَّاسُ، فاستقذارُ الناسِ أصعبُ على نفسِ المُبتلَى؛ لذا ذكرَ أصعبَ شيءٍ مرَّ عليهِ بسببِ هذا المرضِ، وهو «قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ».

«وأشدُّ النَّبذِ أنْ يكونَ مُسبَّبًا عن أمرٍ حسّيٍّ لا يملكُ لهُ دفعًا، إنَّ القذارةَ في العادةِ أمرٌ حِسّيٌّ يُمكنُ التَّخلُّصُ منهُ بالنظافةِ، ورميُ الإنسانِ بالقذارةِ أمرٌ قاسٍ شديدٌ، لكنَّ القذارةَ هنا باقيةٌ ما بقيَ المرضُ، فلا سبيلَ لهُ إلى التخلُّص منها إلا بالشفاءِ من مرضِهِ، فالناسُ تُحاسبُهُ هنا على شيءٍ لا يد له فيه، وتُعاقبُهُ على غيرِ ذنبٍ، ومن هنا ينشأ

---

[١] **فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، صـ٦٤.**

الإحساسُ بحرارةِ الظلمِ، وربَّما تولَّدَ عن هذا الإحساسِ حقدٌ على الناسِ، وكراهيةٌ لهم، ورغبةٌ عنيفةٌ في الانتقامِ منهم إن استطاعَ إلى ذلك سبيلًا»[1].

«قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ» هذا من عظيمِ كريمِ اللهِ، ونوعٌ من العطاءِ لمْ يكن معهُ استبطاءُ ذهابِ المرضِ.

«وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا» من تمامِ إكرامِ الله له، فلمْ يُعطَ أيَّ شعرٍ، بل أُعطيَ شعرًا حسنًا.

وتكرارُ السؤالِ بينَ كلٍّ من الأبرصِ والأقرعِ فيه أيضًا تشويقٌ وتوقُّعٌ للطلبِ وحدوثِهِ وتحقُّقِهِ، وأينَ ذهبتْ نفسُ كليهما عندما خُيِّرا في الأشياء والأموالِ، وظهر هذا من تكرارِ السؤالِ نفسِهِ على كِلَيْهما.

وفي قوله ﷺ: «قالَ: البَقَرُ» إيجازٌ بالحذفِ، وهو في القصَّةِ مناسبٌ تمامًا لحكايةِ القصَّةِ ولمراعاةِ حالِ المُتلقِّي، فإيجازُهُ بيانٌ، وبيانُهُ بيانٌ؛ حيثُ إنَّ ذكر المسندِ إليه المحذوف (أحبُّ المالِ إليَّ البقرُ) غيرُ ملائمٍ هنا لحالِ النفسِ المُتلهِّفةِ إلى العطاءِ، فقال: «البَقَرُ، قالَ: فأعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا»، وفي ذكرِ التفصيلِ في العطاءِ اكتِمالٌ لصورةِ الحدثِ في نفسِ المتلقِّي، ففي التفصيلِ إحاطةٌ بالمعنى وصورتِهِ.

ويُقالُ في قصَّةِ الأعمى ما قيلَ في قصَّةِ كلٍّ من الأقرعِ والأبرصِ، من العطفِ والسعةِ في العطاءِ والعدْلِ فيهِ، وما ذُكِرَ فيهما منْ بيانٍ وتفصيلٍ.

وقدِ اختلفَ جوابُ الأعمى «قالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ به النَّاسَ»، فلم يقلْ: (بصرٌ سليمٌ، أو بصرٌ حادٌّ)؛ حيثُ اتَّفق الأثرُ النفسيُّ بينَ الأبرصِ والأقرعِ، وهو الشعورُ

---

[1] **من أسرار النظم في القصص النبويّ، د/ عبده زايد، دار الصابوني، دار الهداية، د.ط، د.ت، صـ٢٣، ٢٤.**

بالأذى من استقذارِ الناسِ، لكن اختلف الأعمى عنهما في كونِ الأثرِ النفسيّ شعورَهُ بالضِّيقِ في نفسِهِ مع عدمِ رؤيةِ النَّاسِ.

«قالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ»، أي أعادَ إليهِ نعمةَ البصرِ، لكنَّ الأبرصَ والأقرعَ كان ابتلاؤهما أشدَّ، فأذهب اللهُ عنهما هذا الهمَّ والألمَ الشديدَ وأزالَهُ عنهما.

وقولُهُ ﷺ: «فَأُنْتِجَ هذانِ وَوَلَّدَ هذا» تفصيلٌ بعد إجمالٍ، وعبَّر بـ(أُنتِجَ) في (الإبل والبقر)، وبـ(ولَّد) في (الغنم)؛ «مُراعاةً لعُرفِ الاستعمال»[1]، وقولهُ: «فَكانَ لِهذا وَادٍ مِن إِبِلٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن بَقَرٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن غَنَمٍ» اكتملتْ به صورةُ العطاءِ؛ لأنَّ آخرَ ما ذُكرَ في العطاءِ الدُّعاءُ بالبركةِ، وكلمة (وادٍ) كنايةٌ عن البركةِ والكثرةِ.

ثالثًا: بلاغةُ الخاتمة:

تأتي بعد ذلكَ (ثُمَّ) لتُبيّنَ الفرقَ بين ما حدثَ وما سيؤولُ إليهِ، وتوضِّحَ الفارقَ الزمنيَّ بينَ الحالَيْن، حال المنع وحال العطاء.

«ثُمَّ إنَّه» أي الملَكُ «أَتَى الأبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ»، حذف المسندَ إليهِ؛ للتركيزِ على المسندِ ووصفِ صورتِهِ.

وقولُ النبيِّ ﷺ: «الأبْرَصَ» فيه مجازٌ مرسلٌ علاقتُه اعتبارُ ما كانَ، فأصلُ التعبيرِ: «الذي كانَ أبرصَ قبلَ أنْ يتغيَّر حالُهُ»؛ وذلكَ تذكيرًا بحالِهِ، وتشوُّقًا إلى مآلِهِ، وهذا المجازُ المُرسلُ عاملٌ من عواملِ تماسُكِ النصِّ وترابُطِهِ، واستحضارِ أحداثِهِ في ذهنِ المتلقِّي، ففي إعادةِ ذكْرِ (الأبرصِ) يسترجعُ المُتلقِّي أحداثَ القصَّةِ، ويُدركُ أنَّ المقصودَ به الذي كان أبرصَ قبلَ أن تتغيَّرَ حالُهُ، «ففي المجازِ المُرسلِ طيٌّ للمسافةِ

---

[1] **عمدة القاري، ١٦/ ٤٨.**

نحو الخلفِ؛ للتذكير بالأسبابِ اهتمامًا واحتفالًا بها، وتفاؤلًا بظهورِها، وتذكيرٌ بأمرِها؛ حتَّى لا تُنسى»[1].

وقوله ﷺ: «تَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي» «أي: العهود والوسائل، فكأنه قال: تقطعت بي الأسباب التي كنت أرجو التوصل بها»[2]، استعارةٌ تصريحيَّةٌ أصليَّةٌ، حذف المشبَّه وهو أسباب النجاةِ في السفر، وذكر المشبَّهَ به وهو الحبال، فشبَّهَ عدمَ امتدادِ أسبابِ النجاةِ معه في طريقِهِ ونفاذَها بانقطاعِ الحبلِ، فهو مُتعلِّقٌ بالأسبابِ تعلُّقَهُ بالحبالِ التي تُنقذُهُ، بجامعِ التعلُّقِ بشيءٍ وانقطاعِ السببِ في كلٍّ، فوجهُ الشبهِ التعلُّقُ ثمَّ الانقطاعُ.

وفي كلامِ الملَكِ: «فلا بَلَاغَ اليومَ إِلَّا باللَّهِ ثُمَّ بكَ» تعليمٌ للمؤمنينَ التعلُّق باللهِ –تعالى–، فلا بلاغَ لأيِّ أمرٍ إلا بهِ عزَّ وجلَّ.

وقوله: «أَسْأَلُكَ بالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عليه في سَفَرِي» تذكيرٌ للذي كانَ أبرصَ بعطاءِ اللهِ له، ولم يقل: (أسألك بالله)، وإنما أطال في القيدِ، وعرَّفَ المجرورَ بالاسمِ الموصول (الذي)؛ للتذكيرِ بنعمِ اللهِ عليهِ وسابقِ عطائِهِ له، ثمَّ إنَّ ظهورَ هذا الملَكِ في صورةِ المُبتلَى السابقةِ وهيئتِهِ التي كانَ عليها ذِكْرى لا تحتاجُ إلى بيانٍ، فعندما لمْ يتذكَّرِ الذي كانَ أبرصَ ابتلاءَهُ من خلالِ صورةِ الملَكِ وهيئتِهِ؛ أعاد الملَكُ عليهِ ذكرَ النِّعمِ من خلالِ سؤالِهِ ليسَ باللهِ مباشرةً، وإنَّما بوصفِهِ –سبحانه وتعالى– بالإنعامِ باللون الحسنِ والجلدِ الحسنِ وبالمالِ، فكانتْ جُملةُ الصلةِ

---

[1] أساليب البيان والصورة القرآنيَّة دراسة تحليلية لعلم البيان، د/ محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلاميَّة– المنصورة، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، صـ٣٨٦.

[2] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن (٧٢٣– ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق– سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ١٩/ ٦٢٠.

أصدقَ بيانٍ وأنسبَ تركيبٍ لإبراز صورةِ العطاءِ (اللون الحسن والجلد الحسن والمال)، كأنَّه يُذكِّرُهُ بما طلبه هو سابقًا.

وقولُه: هو المسؤولُ الذي طلبه الملَكُ، طلبَ منه بعيرًا فقط، ولم يطلبْ مالًا أو طعامًا، وإنَّما طلبَ سبيلًا واحدًا من أسبابٍ من أسباب الوصولِ يتبلَّغُ بهِ، وعبَّرَ بالفعلِ (أَتَبَلَّغُ) من شدةِ التطلُّبِ لهذا البلاغِ في أدنى صورِهِ.

فالذي كانَ أبرصَ سألَ أحسنَ ما يكونُ من الجلد واللونِ والمالِ، أمَّا الملَكُ السَّائلُ فسأله أدنى ما يتبلَّغُ به في سفرِهِ وهو البعيرُ، الذي نكَّرهُ «بَعِيرًا»؛ تقليلًا من شأنِ ذلك المسؤولِ، وأنَّهُ لا يضرُّ ذلكَ الذي كان أبرصَ إنْ أعطاهُ إيَّاهُ، فما ينقصُ بعيرٌ واحدٌ من وادٍ من إبلٍ.

«فَقالَ له: إنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ»، وفي قولِهِ هذا دلالةٌ على عدمِ اهتمامِهِ بأمرِ السائلِ، فلمْ يُبْدِ اعتذارًا له، بل قال: (إنَّ الحقوقَ كثيرةٌ)؛ ليقطعَ الطلبَ عن نفسِهِ من السَّائلِ.

«فَقالَ له – أي السَّائل– كَأَنِّي أَعْرِفُكَ» فعندما لم يستجبْ ولمْ يتذكَّرْ نعمةَ اللهِ عليهِ، ولمْ يتَّعظْ بحالِ السَّائلِ؛ قال له الملكُ: «كَأَنِّي أَعْرِفُكَ»، والكافُ لتقريبِ الحالِ السابقةِ إلى ذهنِ المُخاطَبِ.

ثمَّ باشرهُ الملَكُ بسؤالٍ، قائلًا له: «أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فقِيرًا فأعْطَاكَ اللَّهُ؟»؛ للتقرير والتوبيخِ، والتقدير: (قدْ كُنتَ أبرصَ يقذركَ النَّاسُ، فقيرًا فأعطاكَ اللهُ).

«فَقالَ: لقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عن كَابِرٍ» وهنا بدايةُ الاستكبارِ وجحودِ النعمةِ، ممَّا أدَّى بهِ إلى الكذبِ، فلم تنفعْهُ ذكرى حال السائل، ولا تذكيره إيَّاه واستحلافه باللهِ وعطاياه، ولا تذكيرُهُ بحالِهِ السابقةِ وهيئتِهِ التي كانَ عليها، وفقره الذي كانَ عليهِ، فلم تنفعْهُ الذكرى، بل جحدَ نعمةَ اللهِ عليهِ، واستكبرَ عن الاعترافِ بها، فقال كذبًا وافتراءً: «لقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عن كَابِرٍ»، فقال لهُ الملَكُ: «إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كُنْتَ».

وقد اختار الاشتقاقَ من مفردةِ (الكِبَرِ) ليُعبّرَ بها عن آبائِه وأجدادِه، «يعني أنه ورث ذلك المال عن أجداده الكبراء، فحمله بخله على نسيانه منة الله تعالى، وعلى جحد نعمه وعلى الكذب، ثم أورثه ذلك سخط الله الدائم وكل ذلك بشؤم البخل»[1].

وسؤالُ الملّكِ في الحالِ الأولى كانَ تكريمًا وتخييرًا، حيث قال: «أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ .... أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، ثمَّ في حالِ الإنكارِ والجحودِ كانَ السؤالُ تقريرًا وتوبيخًا، واحتقارًا لشأنِ هذا الأبرص؛ إذ صار جاحدًا كاذبًا، فما كان من الملَكِ إلا أنْ قال له: بالدُّعاءِ عليهِ بالشرِّ أن يعودَ إليهِ المرضُ والفقرُ كما كانَ، وها نتيجةُ الابتلاءِ لمَّا جحدَ نعمةَ اللهِ عليهِ.

والرسولُ ﷺ ذكر قصَّةَ الأقرعِ بمُنتهى الإيجازِ؛ اختصارًا على السامعِ من التكرارِ المُمِلّ، ومُراعاةً لحالِهِ؛ لاتّفاقِهِ –الأقرعِ– في الصورةِ نفسِها وأحداثِها ونتيجتِها مع صورةِ الأبرصِ، فقال: «وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ له مِثْلَ ما قالَ لِهذا، فَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ عليه هذا، فَقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كُنْتَ»، وكان ﷺ «مُوجزَ اللفظِ، يقصدُ إلى الهدفِ، ويهدي إلى الجادَّةِ في القول كما هدى إليها في الفعل، وهي من خصائص النُّبوَّةِ وآياتِ العبقريَّةِ»[2].

أمَّا حكايةُ الأعمى فقد ذكرها النبيُّ ﷺ على سبيل التفصيلِ؛ لِمُغايرتِها سابقتيْها في أحداثِها ونتائِجِها، فقال: «وَأَتَى الأَعْمَى في صُورَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فلا بَلَاغَ اليومَ إِلَّا باللَّهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ

---

[1] الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، دار المنهاج – دار طوق النجاة، مكة المكرَّمة، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ٢٦/ ٣٥٢.

[2] من البلاغة النبويَّة، د/ كامل سلامة الدِّقْس، دار الشروق– جدَّة، ط١، ١٩٧٨م، صـ١٦.

بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بهَا في سَفَرِي» زاد في كلامِ الأعمى (وَابنُ سَبِيلٍ)، فالأعمى يشعُرُ بالغُربةِ حتى في وسطِ الناسِ؛ لأنَّهُ لا يرى شيئًا، فكونُهُ ابنَ سبيلٍ في السَّفرِ أشدَّ.

«فَقالَ: قدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفقِيرًا فقَدْ أَغْنَانِي» هنا اختلافٌ في النتيجةِ، فقدِ اختلفَ أثرُ الذكرى، وجعلَ من الأعمى إقرارًا بنعمِ اللهِ عليهِ، مُقرّرًا كلامَهُ ومُؤكِّدَهُ بـ(قَدْ)؛ للاعترافِ بالجميلِ الواقعِ عليهِ والنعمةِ التي حباهُ اللهُ بها، قائلًا: «فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَ اللَّهِ لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ»، فطابتْ نفسُهُ بالعطاءِ، فكما سألهُ الملكُ (أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟)، فقال هو للسائل: (فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَ اللَّهِ لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ)، فلمْ يَجهدْهُ بطولِ كلامٍ، ولا بطولِ ذكرٍ، وأقسمَ أن لا يجهده بشيءٍ أخذه ابتغاءَ وجهِ اللهِ، أو شكرًا لنعمةِ اللهِ عليهِ، «فَقالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ علَى صَاحِبَيْكَ»، مُعبّرًا بجملةِ القصرِ؛ لِحصْرِ ما حدثَ للثلاثةِ في بابِ الابتلاءِ كما سبق في علمِ اللهِ –تعالى–.

وقد «اعتبر بحال الأعمى لمَّا اعترف بنعمة الله – تعالى– عليه وشكره عليها وسمحت نفسه بها، ثبَّتها اللهُ عليه، وشكر فعله ورضي عنه، فحصل على الرُّتب الفاخرة وجُمعت له نعم الدنيا والآخرة»[1].

وجاءتْ جملةُ القصرِ «فإنَّما ابْتُلِيتُمْ»؛ لتُقرّرَ حقيقةً أسَّسها النبيُّ في مطلعِ القصَّة في قولِهِ ﷺ: «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»، وطريقُ القصرِ هو (إنَّما) «بجرسِها وغُنَّتِها وقوَّةِ دلالتِها، وهي لا تكونُ إلا في المواقفِ الهادئةِ الناعمةِ دون جلبةٍ أو ثورةٍ، وتتصدَّرُ الحقائقَ والأفكارَ والمشاعرَ والمواقفَ، فتبعثُ فيها حياةً جديدةً، وتسوقُها إلى النفسِ

[1] الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢٦/ ٣٥٢.

المُتلقِّيةِ سوقًا هادئًا، وتطبعها بتؤدةٍ وريثٍ، سواءٌ كان ذلك حقًّا أو مُواربةً وإعراضًا وعدمَ مُبالاةٍ»[١].

وفي جملة القصر «فإنَّما ابْتُلِيتُمْ» ردٌّ للعجزِ على الصدرِ «بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» أو تصديرٌ أحدثَ ترابُطًا وتماسُكًا في النَّصِّ، «والتصديرُ ملمحٌ أسلوبيٌّ يُسهِمُ في تماسُكِ النصِّ الحديثيِّ وترابُطِ أجزائِهِ، كما أنَّهُ يُكثِّفُ دلالَتَهُ ويُضيفُ في كلِّ مرَّةٍ معنًى جديدًا للَّفظِ المُكرَّرِ بما يقتضيهِ سياقُهُ الذي يردُ فيهِ؛ ممَّا يجعلُهُ مميَّزًا عن مثيلاتِهِ»[٢].

وعبَّرَ بالسخط، وهو أشدُّ من الغضب، ويكون بسبب جرمٍ وخطأٍ ارتكبه الإنسان، «ولا شكَّ أنَّ مزاجَ الأعمى كان أقربَ إلى السلامةِ من مزاجهما؛ لأنَّ البرصَ مرضٌ لا يحصل إلا من فسادِ المزاج وخللٍ في الطبيعة، وكذلك ذهاب الشعر، بخلاف العمى فإنَّه لا يستلزم فساده، وقد يكون من أمرٍ خارجيٍّ»[٣].

وهنا يتَّضح الجمعُ بين صورتين متقابلتين؛ صورةٍ مشرقةٍ للخيرِ المتمثِّل في العطاء والبذل، والتصدُّقِ لوجهِ اللهِ – تعالى–، وصورةٍ مقابلةٍ للشرِّ الكامنِ في المنع والكبرِ وعدم الاعتراف بالنعمة، وهذا التقابلُ يعكسُ «التوازنَ والشمولَ في القصَّة، فلا تعرضُ علينا

---

[١] أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، شبرا مصر، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، صـ٢١٨.

[٢] البلاغة في السنَّة النبويّة دراسة تحليلية في الحديث النبوي الشريف، د/ عزة محمد جدُّوع، مكتبة المرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣م، صـ٢٠٤.

[٣] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ١٤/ ٩٦.

الجانب الأسود من السلوك البشريّ، لتترك انطباعًا متشائمًا عن الإنسان، بل تعطينا في المقابلِ صورةً إيجابيَّةً تمثِّلُ البذلَ والسَّخاء لوجهِ اللهِ والاعتراف بنعمتِهِ»[١].

ويدلُّ ذلك أيضًا على أنَّ «البيانَ النبويَّ قد حرص من خلالِ البناء الدَّلاليّ لثُنائيَّة السَّيِّئة والحسنة على أن يرسمَ الطريقَ الأمثلَ للمجتمعِ المسلمِ، وسلوكِ أفرادِهِ وكيفيَّةِ تطهيرِ سلبيَّاتِهِ وتهذيبِ أخلاقِهِ، وبذلكَ تحقَّق التماسكُ الدَّلاليُّ للنصِّ الحديثيّ؛ نتيجةً لتفاعُلِ تلكَ الثُّنائيَّةِ التقابُليَّةِ»[٢].

وعبَّر بقولِهِ: «فَصَيَّرَكَ اللَّهُ»؛ «لإرادة المُبالغة في الدعاءِ عليهِ، وإنَّما أُدخلتِ الفاءُ فيهِ؛ لأنَّهُ دعاءٌ»[٣].

المطلبُ الثَّالثُ

خصائصُ بناءِ القصةِ في الحديثِ محلَّ الدراسةِ

---

[١] خصائص القصة الإسلاميَّة، صـ ١٤٣.

[٢] البلاغة في السنَّة النبوية، د/ عزة جدوع، صـ ٢٠٦.

[٣] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٦/ ٦٨.

يُلحظ في بناء هذه القصة «غلبة الحوار على السرد؛ ذلك لأنَّ في الحوار اطلاعًا على باطن الشخصيَّة، والسَّردُ وصفٌ لظواهر الأعمال، كما أنَّ في الحوار تشخيصًا يكونُ أكثرَ تأثيرًا؛ لأنَّه يجعلُ القارئ وجهًا لوجهٍ مع الحدثِ والشخصيَّةِ»[1]، وهذا يُؤدّي إلى اكتمال صورةِ القصةِ وأحداثِها في عقلِ المخاطَبِ.

والمتأملُ لهذه القصة يجدُ فيها كثيرًا من الألوانِ البلاغيَّةِ التي أعانتْ على توصيلِ المعنى توصيلًا مباشرًا مُتَّسِمًا بالإبداعِ والإقناعِ، «والقيمةُ الأدبيَّةُ الفنيَّةُ للقصَّةِ قائمةٌ في لغتها المُشرِقةِ، وبيانِها النَّاصعِ، وبلاغتِها العربيَّةِ»[2].

«وتُعتبرُ الشخصيَّةُ الإنسانيَّةُ مصدرَ إمتاعٍ وتشويقٍ في القصَّةِ لعواملَ كثيرةٍ؛ منها أنَّ هناكَ ميلًا طبيعيًّا عند كلِّ إنسانٍ إلى التحليل النفسيّ ودراسةِ الشخصيَّةِ، فكلٌّ منَّا يميلُ إلى أن يعرفَ شيئًا عن عمل العقل الإنسانيّ، وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرَّفَ تصرُّفاتٍ خاصّةً في الحياة، كما أنَّ بنا رغبةً جموحًا تدعونا إلى دراسة الأخلاق الإنسانيَّةِ، والعوامل التي تؤثّر فيها، ومظاهر هذا التأثُّر»[3].

ومن خصائصِ بناءِ القصَّةِ في حديث الأبرصِ والأقرعِ والأعمى ما يأتي:

أولًا: وضوح الألفاظ وسهولتها حيث لا تعقيد فيها ولا التواء، ممَّا أدَّى إلى وضوحِ المعنى ووصولِهِ كاملًا للمتلقي.

ثانيًا: اللغة الحوارية التي تضمنها الحديث من أوله إلى نهايته، حيث لا ينشغل المتلقي عنه، ويظل منتبهًا واعيًا تمامَ الوعيِ لأجزاءِ الحديثِ ومشاهد القصة.

---

(1) خصائص القصة الإسلاميَّة، صـ ١٤٣.

(2) الأدب القصصيّ عند العرب، موسى سليمان، دار الكتاب، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٥٠م، صـ٧٥.

(3) فن القصة، د/ محمد يوسف نجم، صـ٤٧، ٤٨.

ثالثًا: كانَ اختيارُ هذه الشخصيات الثلاثةِ اختيارًا مقصودًا ومُحكمًا لتقديم قصةٍ ذات تأثيرٍ بلاغيٍّ ونفسيٍّ عميقٍ، تُغطي جوانبَ متعددةً من الابتلاءِ، وتُبرز بوضوحٍ قيمةَ شُكرِ النعمةِ في مقابلِ الجُحود بها ونُكرانِها.

رابعًا: الإيجاز والاختصار بما لا يخل بالمعنى، ولا يجعله ناقصًا، من أوَّل القصةِ إلى نهايتِها.

خامسًا: غلبةُ الفعل الماضي على سردِ أحداثِ القصةِ، ومع ذلك فإنَّه جعل القصَّةَ حاضرةً في نفوسِ المُتلقِّينَ؛ لأنَّ في الفعل الماضي معنى الوقوع التام للأحداثِ وتحقُّقِها، فليسَ هناكَ انتظارٌ لما سيحدُثُ، وإنَّما تشوُّقٌ لمعرفةِ مآلاتِ الأحداثِ وما صارتْ إليهِ النتائجُ.

سادسًا: وكان لاستعمالِ الفعلِ الماضي مع أدواتِ العطفِ دورٌ في سرعةِ استحضارِ أحداثِ القصةِ وشمولِها وإيجازِها، وربطٍ متسلسلٍ لأحداثها أيقظَ انتباهَ السامعِ لربطِ الأحداثِ بالنتائجِ، وأدوار الأشخاص وآثار فعلهم على نفسهم وغيرهم، وهذا من سماتِ القصصِ النبويّ الذي يقومُ على الإيجازِ وربطِ الأحداثِ وتسلسلِها.

سابعًا: ظهر جليًّا في هذه القصةِ عواملُ التشويق، مثل البيان بعد الإبهام باستخدام العدد المبهم في قوله ﷺ: (ثَلَاثَةً)، ثم الإبانة عنهم بعد ذلك، بكونهم (أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى)، ثم بيان حالهم مع الله –عزَّ وجلَّ– بالابتلاء.

ثامنًا: كانَ لتصعيد المعنى والترقي فيه أثرٌ في جعل المتلقي في حالةِ ترقُّبٍ وتأهُّبٍ، ثم في التشويق بالسؤال والإثارة به (أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟)، وفي حكاية ثلاث قصصٍ داخلَ قصةٍ واحدةٍ اتفقَ بعضُها واختلف الآخرُ في الأسبابِ والنتائجِ، واختلاف تركيب الجملة في معرض الاعتراف بالنعمة والجحود بها، فالاتِّفاقُ في قول كلٍّ من الأبرصِ والأقرعِ: (إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ)؛ منعًا للسؤال، وامتناعًا عن الإجابةِ وتلبيةِ الطلبِ، وفي جواب الأعمى اعترافٌ بالنعمة وإقرارٌ بها حيث قال: (قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ

بَصَرِي، وَفقِيرًا فقَدْ أَغْنَانِي)، ففي جحود النعمة قصرٌ للكلامِ وحصرٌ له على كثرة الحقوق، وقطعٌ عن الإطناب في الحديثِ أو التذكيرِ بالنعمةِ.

تاسعًا: وختام القصة: (فإنَّما ابْتُلِيتُمْ) فيه حسنُ ختامٍ؛ إذ جمعتْ هذه الجملةُ حُكْمَ ثلاثِ قصصٍ في جملةٍ واحدةٍ (فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ علَى صَاحِبَيْكَ)، وذلك بالبشرى برضا الله لمن اعترف بالنعمة وشكرها، والإنذارِ بسخطِ اللهِ على مَنْ جحد نعمةَ الله وكفرها، جمع ذلك المقابلة بين الفعلين (رَضِيَ، وَسَخِطَ)، والمقابلة بين الإفراد والجمع (عَنْكَ، صَاحِبَيْكَ)، فهما في حكم الجميع.

وقوله ﷺ: (فإنَّما ابْتُلِيتُمْ) هذا القصر فيه براعةُ ربطٍ لمطلع القصةِ (أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ) بمقصدِها وهو الابتلاء والجزاء، وهذا من حسن الانتهاء، فجملة (فإنَّما ابْتُلِيتُمْ) قد آذنتْ بانتهاءِ القصةِ وبيانِ الحكمِ فيها أو المآل والمغزى من الابتلاء هو الرضا أو السخط.

عاشرًا: وفي التعبير بالفعل الماضي (رَضِيَ، وَسَخِطَ) تعجيلٌ بالمسرَّةِ والمساءةِ بالتبشير والإنذار.

الخاتمة والنتائج

بعد التطواف في بَلاغَةِ بِنَاءِ الْقِصَّةِ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ– قِصَّةِ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى نَمُوذَجًا؛ خلصتِ الدِّراسةُ إلى النتائجِ الآتيةِ:

- أنَّ القصة في البيانِ النبويِّ ليستْ مجردَ حكايةٍ تُروى، بل هي أداةٌ بلاغيَّةٌ مُحكمةٌ تُصاغ بعنايةٍ فائقةٍ لخدمةِ هدفٍ أسمى، وفي قصةِ الأبرصِ والأقرعِ والأعمى لم يكن النبيُّ ﷺ مجردَ سارِدٍ للأحداثِ، بل اتَّخذ في بناءِ هذه القصَّةِ من جمالِ اللفظِ وبراعةِ الصياغةِ وإحكامِ الجملِ وتسلسُلِها ما يُحرِّكُ الشُّعورَ، ويُقنِعُ بالفكرةِ، ويُغيِّرُ القناعةِ.
- كانَ لتسلسُلِ بناءِ القصةِ وإحكامِها وبراعةِ استِهلالِها بحالةٍ من المرضِ والضعفِ والفقرِ، ثمَّ بالتحوُّلِ الإلهيِّ إلى الشفاءِ والسلامةِ والعطاءِ والغنى، ثم بمرحلةِ الاختبارِ، ثم الخاتمة التي كشفتْ عن الحقائق؛ هذا التسلسل ليس عفويًّا، بل هو بناءٌ قصصيٌّ مُحكمٌ يجعلُ المتلقي مُنتبِهًا مُشدودًا، مُهيَّئًا ذهنُهُ لاستقبال العبرةِ في نهاية القصَّةِ، مُسلِّمًا بالعبرِ والنتائجِ.
- كانَ لاختيارِ هذه الشخصيَّاتِ الثلاثةِ أثرٌ في التأثيرِ على المُتلقِّي، بخاصيَّةِ المُقابلةِ بينَ جحودِ النعمةِ الذي كانَ من كلٍّ من الأبرص والأقرع، والاعتراف بالنعمةِ الذي كان من الأعمى.
- بناءُ أحداثِ القصةِ على الفعلِ الماضي يُمكِّنُ حُصولَ المعنى، ويعملُ على استحضارِ صورته كاملةً في عقلِ المتلقِّي؛ ممَّا يُثبِّتُ المعنى لديه ويجعلُهُ يُقبِلُ عليهِ ويتلهَّفُ نتائجَه.
- استخدام العطف في القصص يوجزه إيجازًا جميلًا، ويُخرجُ معانيه في صورةٍ لائقةٍ تجعل ذهنَ السامعِ متيقظًا ورابطًا لأحداثِ أوَّلِ القصةِ بآخرِها، ومستمتعًا بالجديد الذي يأتي على فتراتٍ قصيرةٍ، وهذا لا يتحقَّقُ مع التكرار أو السرد الطويل أو الإطناب؛ لأنَّ العطفَ إشراكٌ في حكمٍ سابقٍ، ويجعل العقلَ في توازنٍ وانسجامٍ، ويكون أكثرَ استيعابًا.

- من أساسيات بناءِ هذه القصة التقييدُ بالصفةِ؛ لزيادةِ البيانِ والإيضاحِ لمضمونِ القصةِ وأحداثِها وأشخاصِها، فتتربَّى الفائدةُ، ويصحُّ الحُكمُ.
- كان للعطف بما يدلُّ على التعقيبِ والتراخِي أثرٌ في وصفِ الزمنِ الحقيقيّ للقصة، فأدَّى إلى تصديقِها وتمكينِ أحداثِها في ذهنِ المتلقي وقبولِ حدوثها عقلًا، فمراعاةُ الزمنِ من مراعاةِ حالِ العقلِ البشريّ في الاستيعابِ والتقبُّلِ حسب ما أعطاه اللهُ من المنطقِ والحكمةِ.
- راعى النبيُّ ﷺ قدراتِ العقلِ البشريّ في التقبُّلِ والاستيعابِ والفهمِ، وما بُنِيَ عليه من تقديمِ الأسبابِ وبناء النتائج عليها، مثل قوله ﷺ: (فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ).

وفي الختام، إنَّ بناءَ القصة النبوية ليسَ مجردَ وسيلةٍ لتعليم الأخلاق، بل هي بيانٌ نبويٌّ بليغٌ يُظهر كيف يُمكن للكلمةِ أن تُلامسَ شغافَ القلوبِ، وتُغيّرَ السلوكَ، وتُثبّت القيمَ؛ لتصلَ إلى عمقِ التأثيرِ في نفوس المتلقّين.

ثبتُ المصادر والمراجع

القُرآنُ الكريمُ.

- الأدب القصصيّ عند العرب، موسى سليمان، دار الكتاب، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٥٠م.
- أساليب البيان والصورة القرآنيَّة دراسة تحليلية لعلم البيان، د/ محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلاميَّة– المنصورة، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.
- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، شبرا مصر، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
- البلاغة في السنَّة النبويّة دراسة تحليلية في الحديث النبوي الشريف، د/ عزة محمد جدُّوع، مكتبة المرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣م.
- تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف، دار المعارف– القاهرة، ط١١، ١٩٨٩م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي ابن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن (٧٢٣– ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق– سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- ثقافة الحوار بين الأصالة والمعاصرة دراسة وتطبيق، د/ وليّ الدين بن محمد صالح الفرفور، دار الفرفور، سورية– دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.
- الحديث النبويّ الشريف من الوجهة البلاغيَّة، د/ كمال عز الدين السيد، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.
- الحوار شريعةً وواقعًا وتاريخًا، د/ منير محمد الغضبان، دار السلام– القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م.
- خصائص القصة الإسلاميَّة، د/ مأمون فريز جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع– جدة، ط١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

- دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها – اتجاهاتها – أعلامها، د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الأشعري (ت ١٠٥٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، د.ت.
- السُّنَّة بيانًا للقرآن، د/ إبراهيم الخولي، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأوّل، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.
- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، أبي الفضل (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دار اليمامة– دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- صحيح القصص النبوي، د/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط ٨، ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العلَّامة بدر الدين محمد بن أحمد العينيّ (ت ٨٥٥هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- فن القصة، د/ محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
- فن القصص، محمود تيمور، مجلة الشرق الجديد، عدد خاص، شوال ١٣٦٢هـ- أكتوبر ١٩٤٥م.
- القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعيَّة، د/ محمد بن حسن الزير، مكتبة المدني- جدة، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، مكة المكرَّمة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاريّ، دار المعارف، القاهرة، ط ١٥، د.ت.
- معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إشراف: أ/ فاروق شوشة، ود/ محمود علي مكي، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

- مقاييس اللغة، لابن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- من أسرار النظم في القصص النبويّ، د/ عبده زايد، دار الصابوني، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- من البلاغة النبويَّة، د/ كامل سلامة الدِّقْس، دار الشروق- جدَّة، ط١، ١٩٧٨م.

Rhetoric of Story Construction in the Prophetic Discourse: The Story of the Leper, the Bald Man, and the Blind Man as a Model

Dr. Wadida Abdel Zaher El-Sayed El-Shennawy
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo
Al-Azhar University

Abstract:

Prophetic Hadith represents a fundamental source of Islamic legislation and a rich field for language, rhetoric, and thought. The Prophetic traditions are distinguished by their eloquent phrasing, profound meanings, and precise illustration, making them a fertile ground for rhetorical study.

The Prophet, peace be upon him, used stories in his Hadith in a unique style that combines simple structure with deep meaning, conciseness, and persuasion. The stories were an influential tool that touched the soul, conveying values, admonitions, and lessons, while addressing both the mind and the heart.

The Hadith of the three men whom God, the Almighty, tested (the leper, the bald man, and the blind man), narrated by Imams Al-Bukhari and Muslim in their Books of Sahih, serves as an eloquent example. It combines the style of a story with magnificent illustration, eloquent narration, and smooth dialogue, all while carrying a profound ethical and educational message.

In this story, the Prophet, peace be upon him, used a set of rhetorical tools to enhance its impact. These included the dialogue between the angel and the three persons, a conversation that reveals each person's character, highlights their motivations, and shows the true nature of their stance towards the blessings they received.

Hence, this study sheds light on the rhetoric of storytelling construction in the Prophetic traditions. It aims to highlight the

rhetorical aspects of this Hadith—the story of the leper, the bald man, and the blind man—and demonstrate how the Prophet, peace be upon him, skillfully and wisely employed linguistic tools to convey his faith-based and educational message within an impactful narrative. The study proves that the Prophetic discourse is not merely a means of giving information, but a tool for building values and shaping awareness through the intelligent use of storytelling that touches the human soul and achieves the highest degree of influence and persuasion.

Keywords: Story Construction - Prophetic Discourse - Story of the Leper - The Bald Man - The Blind Man.